اختلاف أبنية الأفعال

في

القراءات القرآنية المتواترة

دراسة صرفية تطبيقية على سورة آل عمران

إعداد

د / عبد العال إسماعيل سلطان

مدرس اللغويات

في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

عنوان البحث اختلاف أبنية الأفعال في القراءات القرآنية المتواترة، دراسة صرفية تطبيقية علىٰ سورة آل عمران

اسم الباحث عبد العال إسماعيل سلطان

الإيميل MohamedSahwan.419@azhar.edu.eg

الكلمات المفتاحية أبنية الأفعال، القراءات المتواترة، آل عمران.

التوصيف الأكاديمي مدرس بقسم اللغويات كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

ملخص البحث

يتناول البحث قضية اختلاف أبنية الأفعال في القراءات القرآنية المتواترة دراسة صرفية تطبيقية علىٰ سورة آل عمران؛ للكشف عن تعاقب أكثر من صيغة صرفية علىٰ الفعل الواحد في ضوء القراءات القرآنية المتواترة الواردة فيه وأثر هذا علىٰ اختلاف المعنىٰ، وموقف العلماء من القراءات المتواترة في بنية الفعل الواحد.

الأزهر الشريف
مكتب الإمام الاكبر شيخ الأزهر
مركز الأزهر للترجمة
Al-Azhar Center for Translation ACT

Different Morphological Verb Forms in Recurrent Recitations of the Qurʾān: A Morphological Study Applied to Sūrat ʾĀl ʿImrān

By Dr. Abdul ʿAl Ismaʿil Sultan,

Assistant Professor, Department Of Linguistics,

College of Arabic, Al-Azhar University

mohamedSahwan.419@azhar.edu.eg

Abstract

This research paper tackles the issue of Arabic verbs that have different morphological forms as a result of occurring in different recurrent recitations of the Qur'ān. This morphological study, which is applied to Sūrat 'Āl ʿImrān (Chapter 3) , aims at revealing the fact that the same verb may have different morphological forms as it occurs in different recurrent recitations of the Qur'ān, and that it may have different meanings accordingly. The study also clarifies the attitudes of the different scholars towards the effect of these different recitations on the meaning of one and the same verb.

Key words: morphological verb forms – Qur'ān readings – Sūrat 'Āl ʿImrān

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد .....

فالبحث في مجال علوم القرآن الكريم من أجلَّ العلوم وأشرفها ، وعلم القراءات ـ لا شك ـ من علوم القرآن التي تتصل به .

و القراءات القرآنية هي الوجوه المختلفة التي سمح النبيّ ﷺ بقراءة النص القرآني بها قصدًا للتيسير، والتي جاءت وفقًا للهجة من اللهجات العربية القديمة.

وفصَّل ابن قتيبة الأمر تفصيلاً ،فقال : وقد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها ،نحو قوله تعالىٰ: هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ (١) ، وأطهرَ لكم ، (وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ (٢) ، وهل يجازىٰ إلّا الكفور.

والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالىٰ: رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا (٣) ، وربّنا باعدَ بين أسفارنا.

---

(١) هود من الآية ٧٨ .

(٢) سبأ من الآية ١٧ .

(٣) سبأ من الآية ١٩ .

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا(١)، وننشرها.

والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله: «إن كانت إلّا زقية» وصَيْحَةً (٢).

والوجه الخامس أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله: «وطلع منضود» في موضع : (وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ (٣).

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. نحو قوله: وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ (٤) ، وفي موضع آخر: «وجاءت سكرة الحقّ بالموت»

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالىٰ: «وما عملت أيديهم» ، وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ (٥) ، ونحو قوله: إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ (٦).وإن الغني الحميد. ...

---

(١) البقرة من الآية ٢٥٩ .

(٢) يس من الآية ٢٩ .

(٣) الواقعة من الآية ٢٩ .

(٤) ق من الآية ١٩ .

(٥) يس من الآية ٣٥ .

(٦) لقمان من الآية ٢٦.

فكان من تيسيره أن أمره الله أن يقرئ كل قوم بلغتهم ، فالهذلي يقرأ: (عتىٰ حين) ، والأسدي يقرأ: (تِعْلَمون) ، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: (وإذا قيل لهم)، (وغيض الماء) بإشمام الضم ، ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمر أن يزول عن لغته وما جرىٰ عليه اعتياده طفلاً وناشئًا وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه (١).

وقد تكفل الزركشي بالتفرقة بين القرآن والقراءات بقوله : "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل علىٰ محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتبة الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما" (٢).

لذا آثرت أن يكون اهتمامي بشيء من علوم القرآن ، واخترت من الأوجه المعتبرة في القراءات القرآنية : اختلاف أبنية الأفعال في القراءات القرآنية المتواترة دراسة صرفية تطبيقية علىٰ سورة آل عمران ، وكان سبب اختياري لهذه السورة الكريمة ما رواه الإمام مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ: " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا) (٣) ، وما رواه أصحاب السنن غير النسائي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : " اسْمُ اللهِ

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣١ ، ٣٢ بتصرف يسير .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٢٢ .

(٣) صحيح الإمام مسلم ٦/ ٩٠ رقم الحديث ١٣٤٣

ٱلْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (١) ، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ: ٱلٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ (٢)) (٣). كما أنها قررت أصول الشريعة المتمثلة في عقيدة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ، وأيضاً فقد قصدت إلىٰ بيان جملة من الآداب السلوكية، وهو ما قررته الآية الجامعة وهي قوله تعالىٰ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤).

والمقصود باختلاف أبنية الأفعال تعاقب أكثر من صيغة صرفية علىٰ الفعل الواحد في ضوء القراءات القرآنية المتواترة الواردة فيه ، **ويهدف البحث إلىٰ** :

أولا : الكشف عن أثر هذا الاختلاف في المعنىٰ من عدمه .

ثانيا : هل يؤدي هذا الاختلاف إلىٰ تضارب في المعاني التي يؤديها ، أو يمكن التوفيق بينها ؟.

ثالثا : موقف العلماء من القراءات المتواترة في بنية الفعل الواحد .

رابعا : تأصيل لهجات العرب لبعض الأبنية من خلال القراءات القرآنية .

وقد جاء البحث في مقدمة و ستة مباحث تعقبها خاتمة وفهارس تفصيلية ، وكانت خطتي في البحث السير علىٰ نهج حاولت جاهدا الالتزام فيه ما أمكن ، وهذا النهج يتمثل في أمور هي :

١- سرد الآية الكريمة موضوع المبحث بادئا بقراءة عاصم بن أبي النجود .

---

(١) البقرة من الآية ١٦٣

(٢) آل عمران الآيتان ١ ،٢

(٣) جامع الترمذي رقم الحديث ٣٤٧٨ وسنن أبي داوود رقم الحديث ١٤٩٦ وسنن ابن ماجة رقم الحديث ٣٨٥٥

(٤) آل عمران الآية ٢٠٠

٢- توثيق قراءة غير عاصم من كتب القراءات القرآنية المتواترة .

٣- راعيت في ترتيب أصحاب القراءات في الهامش سني الوفاة مبتدئا بابن عامر (ت ١١٨ هـ) ، ومنتهيا بخلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩هـ) .

٤- تمييز الكلمة موضوع البحث بشكل مخالف .

٥- ضم الأبنية ذات الموضوع الواحد تحت عنوان يناسبها .

٦- عرض توجيه قراءة عاصم بن أبي النجود وغيره من كتب التفسير وكتب توجيه القراءات .

٧- اختيار القراءة التي يساندها الدليل .

٨- قدمت شيئا من التحليل اللغوي لبعض الكلمات التي تحتاج إلىٰ تفرقة بينها .

أما مباحث البحث فقد جاءت علىٰ النحو التالي :

المبحث الأول : اختلاف الأبنية واتفاق الدلالة .

المبحث الثاني : اختلاف الأبنية واتفاق الفاعل .

المبحث الثالث : اختلاف البنية مع اختلاف الفاعل .

المبحث الرابع : اختلاف الأبنية و جواز اتفاق واختلاف الدلالة .

المبحث الخامس : اختلاف الأبنية واختلاف مرجع الضمير .

المبحث السادس : اختلاف الأبنية واختلاف الدلالة .

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

والله من وراء القصد

ض

المبحث الأول : اختلاف الأبنية واتفاق الدلالة

(كَفَّلَهَا) و (كَفِلَهَا)

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾(١).

توجيه القراءتين :

ذهب الفراء إلىٰ أن من ضعف الفاء جعل (زكريا) في موضع نصب كقولك: ضمنها زكريا، ومن خفف الفاء جعل (زكريا) في موضع رفع (٢) .

وذهب الأخفش إلىٰ أن (كفّل) بالتضعيف غير (كفَل) بالتخفيف وفتح الفاء، و (كفِل) بالتخفيف وكسر الفاء ، حيث إن (كفل) بالفتح والتخفيف

---

(١) آل عمران من الآية ٣٧ قرأها حمزة والكسائي وحفص وأبو بكر عن عاصم وخلف (وَكَفَّلَهَا) بالتضعيف علىٰ أن الفاعل الله تعالىٰ ، والضمير المتصل المنصوب المفعول الثاني، و(زكريا) المفعول الأول ، أي جعله الله كافلا لها ، وقرأها ابن عامر وابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو ونافع ويعقوب وخلف (كفلها) بلا تضعيف علىٰ أن الفاعل (زكريا) ، والضمير المتصل المنصوب يعود إلىٰ(مريم) ، وهو المفعول به . وقرأها ابن كثير (كفلها) بكسر الفاء ، وهي لغة . يراجع جامع البيان ٦/ ٣٤٥ و السبعة في القراءات ٢٠٤ ومعاني القراءات للأزهري ١/ ٢٥١ و الحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٣ والمبسوط ١٦٣ وحجة القراءات ١٦١ والتيسير ٨٧ والكشف ١/ ٣٤١ والمحرر الوجيز ١/ ٤٢٦ والبحر المحيط ٢/ ٤٦٠ والدر المصون ٣/ ١٤١ والنشر ٢/ ٢٣٩ وغرائب القرآن ٢/ ١٤٨ والإتحاف ٢٢٢ و روح المعاني ٢/ ١٣٤ وبلا نسبة في معاني القرآن للفراء ١/ ٢٠٨ و الحجة في القراءات السبع ١٠٨

(٢) معاني الفراء ١/ ٢٠٨

مضارعه (يكفُلُ)، بوزن (يقعد) ، و(كفِل) بالكسر ، مضارعه (يكفَل) ، مثل : (علم يعلم) ، ولم يسمع (كفُل) بالضم (١) .

وذهب أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ و أبو جعفر الطبري إلىٰ أن (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) بمعنىٰ : ضمها الله إليه ؛ لأن زكريا أيضًا ضمها إليه بإيجاب الله له ، ضمَّها إليه بالقُرْعة التي أخرجها اللهُ له ، علىٰ حين قراءة التخفيف معناها : ضمها زكريا إليه، اعتبارًا بقول الله ﷻ: (يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) (٢).

ووجَّه ابن خالويه والأزهري وأبو علي الفارسي قراءة التضعيف علىٰ أن (كفل) بالتخفيف يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد وبالتضعيف إلىٰ مفعولين ، بدليل عطفه علىٰ قوله :(فتقبلها ربها) ، أي : فتقبلها ربها وكفلها (٣).

وذهب مكي بن أبي طالب إلىٰ أن (كفَّلها) بالتضعيف بمعنىٰ : (ألزمه كفالتها وقدر ذلك عليه ويسره له) ، فأسند الفعل له ـ سبحانه ـ فالله أخبر عن نفسه ـ سبحانه ـ بما فعل بها ، ويتعدىٰ (كفل) إلىٰ مفعولين ، ويؤيده أن في مصحف أبي (أكفلها) ، والهمزة كالتضعيف في التعدي ، أما قراءة التخفيف فالحجة لمن قرأ بها أن الله أخبر أن زكريا تولىٰ كفالتها والقيام بها .

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢١٦ ويراجع التبيان ١/ ٢٥٥ والبحر المحيط ٢/ ٤٦٠

(٢) آل عمران من الآية٤٤

(٣) الحجة لابن خالويه ١٠٨ ويراجع معاني القراءات للأزهري ١/ ٢٥١ حجة الفارسي ٣/ ٣٣

اختيار القراءة :

قراءة التضعيف أولىٰ عند الطبري من قراءة التخفيف ؛ لضعف المحتج بها ، وإن كان غير ممتنع أن يقول قائل: (كفَّل فلانٌ فلانًا فكفَله فلان". فكذلك القول في ذلك: ألقىٰ القوم أقلامهم: أيهم يكفُل مريم، بتكفيل الله إياه بقضائه الذي يقضي بينهم فيها عند إلقائهم الأقلام (١) .

والاختيار عند مكي قراءة التخفيف وتبعه الفخر الرازي (٢). ؛ لأن التشديد يرجع إلىٰ التخفيف ؛ لأن الله إذا كفلها زكريا فقد كفلها زكريا بأمر الله له ، ولأن زكريا إذا كفلها فعن مشيئة الله وقدرته وإرادته ، فالقراءتان متدخلتان (٣) .

****

(١) مجاز القرآن ١/ ٩١ و جامع البيان ٦/ ٣٤٥

(٢) مفاتيح الغيب ٨/ ٢٠٦ .

(٣) الكشف لمكي ١/ ٣٤١، ٣٤٢ بتصرف يسير ويراجع أنوار التنزيل ٢/ ١٤ والدر المصون ٣/ ١٤١ وما بعدها و اللباب ٥ / ١٨٠ وفتح القدير ١/ ٣٨٥

ومثله قوله تعالى : (**فَنَادَتهُ**) و (**فَنَادَاْهُ**)

قال تعالىٰ : (**فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ**) (١).

اتفق جمهور النحويين علىٰ جواز تذكير وتأنيث الفعل إذا كان الفاعل جمع تكسير أو ما يشبهه (٢) ، لعاقل أو لغير عاقل ، فمن ذكر ذهب إلىٰ معنىٰ الجمع ومن أنَّث ذهب إلىٰ معنىٰ الجماعة ،(٣).

توجيه قراءة (**فنادته الملائكة**) .

قال الفراء : (وقوله: فنادته الملائكة ...يقرأ بالتذكير والتأنيث، وكذلك فعل الملائكة وما أشبههم من الجمع: يؤنث ويذكر، وقرأت القراء : (يعرج الملائكة)(٤)، وتعرج ، و(تتوفاهم) –

---

(١) آل عمران صدر الآية ٣٩ ، قرأها ابن عامر وابن كثير وعاصم وأبو عمرو ونافع (فنادته) بالتاء ، وقرأها الأخوان (حمزة والكسائي) وخلف (فناداه) بالألف الممالة ، وهو اختيار أبي عبيد . يراجع جامع البيان ٦/ ٣٦٣ ، والسبعة ٢٠٥، وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٢ وحجة الفارسي ٣/ ٣٧ ، والمبسوط ١٦٣ والكشف لمكي ١/ ٣٤٢ والتيسير ٨٧ والمحرر الوجيز ١/ ٤٢٨ والبحر المحيط ٢/ ٤٦٤ والدر المصون٣/ ١٥٠ والنشر ٢/ ٢٣٩ والإتحاف ١/ ٤٧٧ وبلا نسبة في معاني الفراء ١/ ٢١٠ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٤٠٥ و الحجة لابن خالويه ١٠٨ ، والكشاف ١/ ٥٥٥ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/ ٤٠ ومعاني الفراء ١/ ٢١٠.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٧٣ ويراجع معاني الزجاج ١/ ٤٠٥ ، و شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١١٤ والتذييل والتكميل لأبي حيان الأندلسي ٦/ ٢٠٠ وارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان ٧٣٨ .

(٤) سورة المعارج صدر الآية ٤ . قرأها الجمهور بالتاء علىٰ التأنيث ، والكسائي وحده بالياء علىٰ التذكير ، يراجع السبعة ٦٥٠ وحجة القراءات ٧٢١ والتيسير ٢١٤ والنشر ٢/ ٣٩٠ .

ويتوفاهم الملائكة) (١) ، وكل صواب ، فمن ذكر ذهب إلىٰ معنىٰ التذكير، ومن أنث فلتأنيث الاسم، وأن الجماعة من الرجال والنساء وغيرهم يقع عليه التأنيث) (٢).

واختار أبو عبيد القاسم بن سلام والعكبري قراءة (فناداه) ، قال أبو عبيد: أنا اختار ذلك خلافا علىٰ المشركين لأنهم قالوا الملائكة بنات الله (٣) .

وقد اتفق الجمهور علىٰ أنه إنما أنث الفعل لأنه أراد جمع الملائكة ، والعرب تفعل ذلك في جماعة الذّكور إذا تقدّمت أفعالها، فتؤنث أفعالها، ولا سيما الأسماء التي في ألفاظها التأنيث، كقولهم: جاءَت الطَّلحات ،ومنه قوله تعالىٰ : ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ ﴾ (٤)، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ (٥)، أما من

(١) سورة النحل من الآية ٢٨ . قرأها ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو والكسائي ونافع (تتوفاهم) بتاءين علىٰ تأنيث الملائكة ، وقرأها حمزة وحده بالياء ، واختارها أبو عبيد ؛ لأن الملائكة ذكور ، قال ابن قتيبة : (ويلزمه علىٰ هذا أن يقرأ : توفاه رسلنا ؛ لأنهم ملائكة ، ولم يفعل .) يراجع السبعة ٣٧٢ وحجة ابن خالويه ٢١٠ وإعراب القراءات السبع ١/ ٣٥٣ والكشف لمكي ٢/ ٣٦ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٠ ويراجع جامع البيان ٦/ ٣٦٤ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٧٣ وحجة الفارسي ٣/ ٣٧ والكشف ١/ ٣٤٢ والتبيان ١/ ٢٥٧ والدر المصون ٣/ ١٥٠.

(٤) صدر الآية ١٤ من سورة الحجرات .

(٥) صدر الآية ٣٠ من سورة يوسف .

ذكر فلأنهم كما يُؤنثون فعل الذّكر للفظ، فكذلك يذكِّرون فعلَ المؤنث أيضًا للفظ.(١).

والمراد بالملائكة (جبريل) فأنث علىٰ اللفظ ، أي أتاه النداء من هذا الجنس، ومن ذكر ذهب إلىٰ مراعاة المعنىٰ ، ويؤيده قراءة ابن مسعود : ((فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ) (٢).

قال الطبري : (فإن قال قائل: وكيف جاز أن يقال علىٰ هذا التأويل:" **فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ** ، و (الملائكة)جمع لا واحد؟ قيل: ذلك جائز في كلام العرب، بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع، كما يقال في الكلام:خرج فلان علىٰ بغال البُرُد، وإنما ركب بغلا واحدًا ، وركب السفن ، وإنما ركب سفينةً واحدة. وكما يقال: ممن سمعتَ هذا الخبر؟ فيقال : من الناس، وإنما سمعه من رجل واحد. وقد قيل إنّ منه قوله : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ (٣) ، والقائلُ كانَ واحدًا ،

(١) يراجع الكتاب ٢/ ٤٠ ومعاني الفراء ١/ ٢١٠ وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٧٣ ومعاني الزجاج ١/ ٤٠٥ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١١٤ والتذييل والتكميل ٦/ ٢٠٠ وارتشاف الضرب ٧٣٨ وهمع الهوامع ٦/ ٦٦ .

(٢) نسبت هذه القراءة لابن مسعود في جامع البيان ٦/ ٣٦٤ و مفاتيح الغيب ٨/ ٢١٠ والبحر ٢/ ٤٦٤ والدر المصون ٣/ ١٥١

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٧٣

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ (١)، والناس بمعنىٰ واحد. وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد (٢).

ورد أبو جعفر النحاس وأبو علي الفارسي ومكي بن أبي طالب والسمين الحلبي هذا القول .

قال أبو جعفر النحاس : (هذا احتجاج لا يحصل منه شيء لأن العرب تقول: قالت الرجال وقال الرجال ، وكذا النساء ، وكيف يحتجّ عليهم بالقرآن ؟ ولو جاز أن يحتجّ عليهم بهذا لجاز أن يحتجّوا بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(٣) ، ولكن الحجة عليهم في قوله جلّ وعزّ: ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ (٤) ، أي فلم يشاهدوا خلقهم فكيف يقولون: إنهم إناث ، فقد علم أنّ هذا ظنّ وهوىٰ، وأما (فناداه) فهو جائز علىٰ تذكير الجميع ، و (نادته) علىٰ تأنيث الجماعة) (٥) .

وقال السمين الحلبي : (وقد تَجَرَّأ بعضُهم علىٰ قراءة العامة فقال: أكرهُ التأنيث لِمَا فيه من موافقة دعوىٰ الجاهلية؛ لأن الجاهلية زعمت أن الملائكة

---

(١) سورة الروم من الآية ٣٣

(٢) جامع البيان٦/ ٣٦٤

(٣) سورة آل عمران صدر الآية ٤٢ .

(٤) من الآية ١٩من سورة الزخرف .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٧٣ .

إناث. وتجرَّأ أبو البقاء علىٰ قراءة الأخوين فقال: "وكره قوم قراءة التأنيث لموافقة الجاهلية، فلذلك قرأ مَنْ قرأ: (فناداه) بغير تاءٍ، والقراءةُ به غيرُ جيدة ؛ لأنَّ الملائكةَ جمعٌ، وما اعتلُّوا به ليس بشيء، لأنَّ الإجماع علىٰ إثبات التاء في قوله: (وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)). وهذان القولان الصادران من أبي البقاء وغيرِه ليسا بجيدين ؛ لأنهما قراءتان متواترتان، فلا ينبغي أن تُرَدَّ إحداهما البتة"(١) .

والصواب أنهما قراءتان معروفتان فبأيهما قرأ القارئ فمصيب ؛ لأنه لا اختلافَ في المعنىٰ باختلاف القراءتين، وهما فصيحتان عند العرب .

قال الطبري : (وأما الصّواب من القول في تأويله، فأنْ يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر أنّ الملائكة نادته. والظاهرُ من ذلك، أنها جماعة من الملائكة دون الواحد، وجبريلُ أحدهم ، ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن ، إلا علىٰ الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في ألسن العرب، دون الأقل ما وُجِد إلىٰ ذلك سبيل. ولم تَضطَّرنا حاجةٌ إلىٰ صرف ذلك إلىٰ أنه بمعنىٰ واحد، فيحتاج له إلىٰ طلب المخرج بالخفيّ من الكلام والمعاني (٢).

قال ابن الشجري : (فمعلوم أن أسماء الأجناس والجموع تذكّر أفعالهما وتؤنّث، كما جاء في آية (وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)) (٣) ،وفي أخرىٰ: (فَسَجَدَ

(١) الدر المصون ٣/ ١٥٠.

(٢) جامع البيان٦/ ٣٦٥ ويراجع معاني الزجاج ١/ ٤٠٥ والكشف ١/ ٣٤٣.

(٣) آل عمران من الآية ٤٥.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ (١) ، وجاء في وصف اسم الجمع:(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ)(٢) ، و (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)(٣) ، فذكّر فعل الجمع وأنّث، وذكِّرت صفة اسم الجنس وأنّثت، .. ولهذه العلّة أسقط العلامة في هذا الباب من أسقطها، وإذا كانوا قد أسقطوها في حال السّعة من فعل المؤنّث الحقيقي، في قولهم: حضر القاضي اليوم امرأة، فليس بمستنكر سقوطها من فعل المؤنّث الواقع علىٰ الجنس) (٤) .

(١) الحجر من الآية ٣٠ ، وص من الآية ٧٣.

(٢) القمر من الآية ٢٠.

(٣) الحاقة من الآية ٧ .

(٤) أمالي ابن الشجري ٢/ ٤١٧، ٤١٨ .

ومثله : (**يبشّرك**) و (**يبشُرك**) (١).

فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢).

وقوله تعالىٰ : (**إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ**) (٣).

---

(١) المواضعَ التي وقع فيها الخلافُ المذكور تسعُ كلمات ، هذه الآية ، وقوله تعالىٰ : (إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) آل عمران من الآية ٤٥ ، و (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) الإسراء من الآية ٩ ، و(وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ) الكهف من الآية ٢ و (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ) التوبة من الآية ٢١ ، و(فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) الحجر ختام الآية ٥٤ ، (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ) مريم الآية ٧ ، و(لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) مريم من الآية ٩٧ ، و(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ) الشورىٰ من الآية ٢٣والقرَّاءُ فيها علىٰ مراتبَ: فابن عامر وعاصم ونافع ثَقَّلوا الجميع وحمزة خَفَّف الجميع، وابن كثير وأبو عمرو ثَقَّلا الجميع إلا التي في سورة الشورىٰ فإنهما وافقا فيها حمزة، والكسائي خَفَّف خمسًا منها وثقَّل أربعًا، فخفَّف كلمتَيْ آل عمران وكلماتِ الإسراء والكهف والشورىٰ. السبعة ٢٠٥ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٣ومعاني القراءات ١/ ٢٥٤ وحجة الفارسي ٣/ ٤١ والكشف ١/ ٣٤٣، ٣٤٤والتيسير ٨٧ والمحرر ١/ ٤٢٩ ومفاتيح الغيب ٨/ ٢١١والنشر ٢/ ٢٣٩ والإتحاف ٢٢٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٩.

(٣) سورة آل عمران الآية ٤٥ وفيها من القراءات ما ورد في الآية ٣٩ .

التحليل :

ذهب معاذ الهراء الكوفي فيما حكي عنه إلىٰ أن (يُبَشِّرُكَ) بالتثقيل من البشارة و(يَبشُرك) بالتخفيف من الحسن والنضارة (١).

قال الفراء :(إن الله يبشرك بيحيىٰ)، وكل ما في القرآن؛ فإن أهل الحجاز يثقلونه، وبعض العرب يقولون: بشرته بغلام، وأنا أبشره.

أنشدني بعضهم:

بَشَرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الحَجَّاجُ يُتْلَى كِتَابُهَا

وزعم الكسائي أنه سمع غنيا يقولون: بشرتك، وأنا أبشرك، وسمعتها أنا من أبي ثروان كذلك، كما حكىٰ الكسائي، وذكر عن النبي صلىٰ الله عليه أنه قرأ: «يبشرك»...

(١) رد هذا القول ابن جرير الطبري بقوله : (وأما ما روي عن معاذ الكوفي من الفرق بين معنىٰ التخفيف والتشديد في ذلك، فلم نجدْ أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح، فلا معنىٰ لما حُكي من ذلك عنه، وقد قال جرير بن عطية:

يَا بِشْرُ حُقَّ لِوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ ... هَلا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ! .

فقد علم أنه أراد بقوله : التبشير، الجمال والنضارة والسرور، فقال : التبشير، ولم يقل : البشر، فقد بيَّن ذلك أن معنىٰ التخفيف والتثقيل في ذلك واحدٌ) جامع البيان ٦/ ٣٧٠ .

(٢) البيت من الطويل وهو لبعض العرب في معاني الفراء ١/ ٢١٢ وبلا نسبة في جامع البيان ٦/ ٣٦٨ والبحر المحيط ٢/ ٤٦٥ والدر المصون ٣/ ١٥٧

وأما قوله: (وأبشروا بالجنة) فليس فيه إلا هذه اللغة ، إذا كان الفعل غير واقع) (١).

والتخفيف والتشديد صواب .

والفرق بين التثقيل والتخفيف أن المشدد علىٰ بشارات البشراء ، والتخفيف من وجهة الأفراح والسرور (٢).

ومن التخفيف قول الشاعر :

بَشَرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الحَجَّاجُ يُتْلَى كِتَابُهَا

وذهب أبو عبيدة ومكي بن أبي طالب إلىٰ أن (يُبشِّر ويَبشُر) كلاهما بمعنىٰ واحد ، وهما لغتان مشهورتان . (٣)

وذكر الطبري أن التخفيف لغة أهلِ تهامة من كنانة وغيرهم من قريش، وأنهم يقولون : بشَرتُ فلانًا بكذا، فأنا أبشُرُه بَشْرًا ، و هل أنتَ باشرٌ بكذا ؟ وينشد لهم البيت في ذلك:

وَإِذَا رَأَيْتَ البَاهِشِينَ إِلَى العُلَى غُبْرًا أَكُفُّهُمُ بِقَاعٍ مُمْحِلِ

(١) كتاب فيه لغات القرآن للفراء ٤٨ و يراجع معاني الفراء ١/ ٢١٠ ومعاني الأخفش٢/ ٥١٠ ومعاني الزجاج١/ ٤٠٥ وجامع البيان٦/ ٣٦٨ وتاج اللغة (ب ش ر) .

(٢) معاني القراءات ١/ ٢٥٤ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٩١ والكشف ١/ ٣٤٤ وفيه : (أنكر أبو حاتم التخفيف ، وقال : لا نعرف فيه أصلا يعتمد عليه ، وهي لغة مشهورة ، وأكثر ما وقع في القرآن مما أجمع عليه التشديد ، نحو : (فَبَشِّرْ عِبَادِ) الزمر(١٧) و (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) يس ١١، ومثله كثير بالتشديد ، وفيه لغة ثالثة ،وهي (أبشر) ، قال جل ذكره : (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فصلت(٣٠))

فَـــأَعِنْهُمُ، وَابْشَـــرْ بِمَـــا بَشِـــرُوا بِـــهِ، وَإِذَا هُـــمُ نَزَلُـــوا بِضَـــنْكٍ فَـــانْزِلِ (١).

فإذا صاروا إلىٰ الأمر، فالكلام الصحيح من كلامهم بلا ألف ، فيقال : أبشَرْ فلانًا بكذا ، ولا يقولون: بشِّره بكذا، ولا أبشِره .(٢).

وفيه لغة ثالثة ، (أبشر) ، ومنه قراءة عبد الله بن مسعود وحميد بن قيس ومجاهد (أن الله يُبشِرك) ، بضم الياء وكسر الشين مع التخفيف (٣) .

---

(١) البيتان من الكامل وهما لعبد قيس بن خفاف البرجمي في المفضليات للمفضل الضبي ٣٨٥ والأصمعيات ٢٣٠ وبلا نسبة في معاني الفراء١/ ٢١٢ و جامع البيان ٦/ ٣٦٨ ومعاني الزجاج ١/ ٤٠٥ وحجة الفارسي ٣/ ٤٢ (بهش إلىٰ الشيء: فرح به فأسرع إليه، وروايتهم : إلىٰ الندىٰ، وهو الكرم. والقاع: أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجبال والآكام، ولا حصىٰ فيها ولا حجارة ولا تنبت الشجر. والممحل: المجدب. يقول: إذا رأيت الكرام الأسخياء، قد أجهدتهم السنة والقحط والجدب حتىٰ اغبرت أيديهم من قلة ما يجدون، وكثرة ما بذلوا في معونة الناس.. فأعنهم. ، وابشر : هي من (بشر) علىٰ وزن (فرح) "يبشر" (بفتح الشين) يقال: "أتاني أمر بشرت به" أي سررت به. يقول: شاركهم في ارتياحهم وفرحهم بالسخاء مع ما يلقون من جهد السنة. والضنك: الضيق. يقول: كن مع الكرام حيث كانوا، وانزل معهم كل منزل أنزلهموه كرمهم، من ضنك وحاجة.) .

(٢) جامع البيان ٦/ ٣٦٨، ٣٦٩ .

(٣) آل عمران من الآية ٣٩ وهي لحميد بن قيس الأعرج المكي في جامع البيان ٦/ ٣٦٩ و معاني الزجاج ١/ ٤٠٥ و إعراب النحاس ١/ ٣٧٣ ومعاني القراءات ١/ ٢٥٥ والمحتسب ١/ ١٦١ ولعبد الله بن مسعود في البحر ٢/ ٤٦٥ قال ابن جني : (ينبغي أن يكون هذا منقولًا من بَشِرْتُ بالأمر في وزن أَنِفْتُ وفَرِحْتُ؛ كقولك: بَطِر وأبطرته، وخرِق وأخرقته، يقال: بَشِر الرجل بالخير وأبشرته وبشَّرته وبَشَرْتُ خفيفة أيضًا) المحتسب ١/ ١٦١ .

وذهب ابن خالويه إلىٰ أن أبا عمرو فرق بين البشارة والنضارة، فما صحبته الباء شدد فيه، لأنه من البشرىٰ، وما سقطت منه الباء خففه ، لأنه من الحسن والنضرة، وهذا من أدل الدليل علىٰ معرفته بتصاريف الكلام، غير أن التخفيف لا يقع إلا فيما سر. والتشديد يقع فيما سر وضر. (١).

اختيار القراءة

واختار التثقيل الطبري وابن خالويه (٢).

****

(حسب) (يحسَب)

ومنه قوله تعالىٰ : **(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ)** (٣) .

---

(١) حجة ابن خالويه ١٠٨ .

(٢) جامع البيان ٦/ ٣٦٩ وإعراب القراءات السبع لابن خالويه ١/ ١١٣.

(٣) آل عمران الآية ٧٨ ، قرأها ابن عامر وعاصم وأبو جعفر وحمزة بفتح السين حيث وقع وهو القياس؛ لأن ماضيه (حسِب) بزنة (فعِل) ،وقرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ونافع ويعقوب وخلف (يحسِب) بكسر السين يراجع السبعة ١٩١ ومعاني الأزهري ١/ ٢٣٠ ، ٢٣١ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٠٣ وحجة الفارسي ٢/ ٤٠٢ والمبسوط ١٥٤ و الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٣٤١ ،٤/ ٢٨٧ وحجة القراءات ١٤٨ والكشف ١/ ٣١٧ ، ٣١٨ والتيسير ٨٤ والعنوان في القراءات السبع ٧٦ والمحرر ١/ ٣٦٩ ومفاتيح الغيب ٧/ ٦٨ والبحر٢/ ٣٤٢ والدر المصون ٢/ ٦١٩ وغرائب القرآن ٢/ ٤٣ والنشر ٢/ ٢٣٦ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١٠٣ التبيان ١/ ٢٢٢ وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٣٦ .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١) .

التحليل

ذكر الخليل أن (حسِب) (يحسِب) بفتح السين وكسرها في المضارع لغتان(٢)

قال سيبويه : (وقد بنوا فعِل علىٰ يفعِل في أحرف، كما قالوا: فعُل يفعُل فلزموا الضمة، وكذلك فعلوا بالكسرة فشبه به. وذلك حسِب يحسِب، ويئِس ييئِس، ويبِس ييبِس، ونعِم ينعِم. سمعنا من العرب من يقول:

وَهل يَنعِمْنَ مَنْ كانَ فِي العُصُر الْخَالِي (٣) .

---

(١) آل عمران الآية ١٧٨ . المراجع السابقة .

(٢) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ح س ب .

(٣) عجز بيت من الطويل وصدره : (ألا عم صباحا أيها الطلل البالي) وهو لامريء القيس في ديوانه ص ١٣٥ وروايته (يعِمَنْ) مكان (ينعمن) ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٣٤٠ . وخزانة الأدب ١/ ٦٠، ٣٢٨، ٣٣٢، ٢/ ٣٧١، ١٠/ ٤٤ وتاج العروس (ط و ل) ، والدرر اللوامع ٢/ ٢٦٤ وبلا نسبة في الكتاب ٤/ ٣٩، واستشهد به سيبويه علىٰ بناء (نعِم) علىٰ (ينعِم) بالكسر نادرا ، مثل حسب يحسب ، ويئس ييئس والأصل فيها الفتح ، أما رواية (يعمن) فهو من (وعم) (يعم) في معنىٰ (نعم) (ينعم) ، و مغني اللبيب ٢/ ٥١٨ وشرح شواهد المغني ١/ ٣٤٠ ، و همع الهوامع ٥/ ٢٤. وشرح الأشموني ١/ ٦٩، ٢/ ٢٩٢ ، وخزانة الأدب ٧/ ١٠٥ .

وقال:

واعْوَجَّ غُصْنُك مِنْ لحوٍ ومِن قِدَمِ لا يَنْعِمُ الغُصْنُ حتى يَنْعِم الوَرَقُ (١)

وقال الفرزدق:

وكــومٍ تَــنْعِمُ الأضْــيافَ عَيْنــاً وتُصْبِحُ في مَبارِكِها ثِقالاَ (٢) .

والفتح في هذه الأفعال جيد، وهو أقيس) (٣) .

وذهب الفراء إلىٰ أن (حسِب) (يحسِب) بالكسر لغة كنانة ، وكانت لغة النبي ﷺ ، وبقية العرب علىٰ (حسِب) (يحسَب) بالفتح . (٤) .

وذهب الأزهري إلىٰ أنه لم يأت من (فعِل يفعِل) إلا (حسب يحسب ، ونعم ينعم) (٥) .وحكىٰ عن أبي عبيد والأصمعي يئس ييئس وييأس .

قال الأزهري : (يأس: أَبُو عبيد عَن الأصمعيّ: يَئِس يَيْئِس ويَيْأْسُ، مثل: حَسِبَ يَحسِب ويَحسَب. قَالَ: وَقَالَ أَبُو زيد:

---

(١) البيت من البسيط، وهو لعمرو بن الأهتم في ديوانه ص٩٥ شعر عمرو بن الأهتم مطبوع مع شعر الزبرقان بن بدر ، وبلا نسبة في الكتاب ٣/ ٣٩ ولسان العرب لابن منظور (ل ح و) و (ن ع م) .

(٢) البيت من الوافر، وهو للفرزدق في ديوانه ٤٢٢، والكتاب ٤/ ٣٩ ولسان العرب (ن ع م) ، وتاج العروس (ن ع م). والبيت من قصيدة يمدح بها سعيد بن العاص بن أمية .

(٣) الكتاب ٤/ ٣٨ ،٣٩وأدب الكاتب لابن قتيبة ٤٨٣ .

(٤) كتاب فيه لغات القرآن ٤٥.

(٥) تهذيب اللغة باب الحاء والسين .

عَلْياء مُضَر تَقول: يَحسِب ويَيْئس، وسُفْلاها بالفَتْح.) (١)

وزاد الجوهري بئس يبأس و يبئس (٢) .

ومن المعتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعا بالكسر نحو: ومق يمق، ووفق يفق، ووثق يثق، وورع يرع، وورم يرم، وورث يرث، ووريٰ الزند يري، وولىٰ يلي. (٣) .

قال ابن سيده : (وذكر سيبويه بعد هذا الفصل من كتابه إلىٰ آخر الباب ما شذ عن قياسه في المستقبل والماضي فمن ذلك أربعة أفعال من الصحيح جاءت علىٰ (فَعِلَ يَفْعِل) ، والقياس في (فَعِلَ) أَن يكون مستقبَله علىٰ يَفْعَل إِلَّا أَنهم شبَّهوا (فَعِلَ يَفْعِل) بقولهم : (فَعُلَ يَفْعُلُ) ، وَذَلِكَ قولُهم : (حَسِبَ يَحْسِب ويَئِسَ يَيْئِس ويَبِسَ يَيْبِس ونَعِمَ يَنْعِم) ، قَالَ: سمعنَا من الْعَرَب من يَقُول:

وَهل يَنْعِمْنَ مَنْ كانَ فِي العُصُر الْخَالِي

---

(١) تهذيب اللغة باب السين والميم ويراجع الكشف ٣١٨/١ و البحر ٣٤٢/٢، ومن عجيب الأمر أن ابن خالويه لم يذكر إلا ثلاثة أفعال جاءت بالفتح والكسر ولم يذكر منها (حسب يحسب) ، قال ابن خالويه في كتابه ليس في كلام العرب : (ليس في كلام العرب: فَعِلَ يفعلُ بكسر العين في الماضي والمستقبل من الصحيح إلا ثلاثة أحرف: نَعِمَ ينعِمُ، ويبس ييبس، ويئس ييئس، وقد يجوز فيهن الفتح وسمع، فأما المعتل فيجيء كثيرًا، نحو: ورث يرث، وورم يرم، وومق يَمِقُ، ووفِق يفق، وولىٰ يلىٰ) ليس في كلام العرب لابن خالويه ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) تاج اللغة (ح س ب) .

(٣) الصحاح ح س ب .

وَقَالَ:

واعْوَجَّ عُودُكَ من لَحْوٍ ومِنْ قِدَمٍ لَا يَنْعِمُ الغُصْنُ حَتَّى يَنْعِمَ الورَقُ

وَقَالَ الفرزدق:

وكُـومٍ تَـنْعِمُ الأضْـيافَ عَيْنَـاً وتُصْـبِح فِي مَبارِكِهـا ثِقـالا

والفتح في هذه الأفعال أجود وأقيس يعني حَسِبَ يَحْسَب ويَئِسَ يَيْئَس ويَبِسَ يَيْبَس ونَعِمَ يَنْعَم ، وَحكىٰ أَبُو عَليّ: نَجِدَ يَنْجِد: إِذا عَرِقَ ، والأعرفُ الْفَتْح) (١) .

وزاد أبو حيان (عمِد يعمِد) ، كما جعل الكسر لغة الحجاز والفتح لبني تميم(٢) .

توجيه القراءتين

أجمع القراء والنحويون علىٰ أن من قرأ (وَلَا يَحْسَبَنَّ) بالفتح أنه أتىٰ بلفظ الفعل المضارع علىٰ ما أوجبه بناء ماضيه، لأن (فعِل) بالكسر يأتي مضارعه علىٰ (يفعل) بالفتح قياس مطرد. والحجة لمن كسر: أن العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع أربعة أفعال: يحسب، وينعم، وييئس، وييبس، حتىٰ صار الكسر فيهن أفصح (٣) .

---

(١) المخصص لابن سيده ٤/ ٢٩٥ .

(٢) البحر ٢/ ٣٤٢ .

(٣) الكتاب ٤/ ٣٨، ٣٩ وكتاب فيه لغات القرآن ٤٥ وحجة ابن خالويه ١٠٣ والحجة الفارسي ٢/ ٤٠٣ وأدب الكاتب لابن قتيبة ٤٨٣ .

اختيار القراءة

قراءة الكسر قرأ بها رسول الله ـ ﷺ ـ ، وقرأ بها اثنان من كبار النحويين ، أبو عمرو والكسائي، وقارئا الحرمين نافع وابن كثير. والله أعلم .

****

(نـزّل) (أنزل) .

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (١)

﴿ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ (٢)

---

(١) آل عمران الآية ٩٣ قرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (نُنْزَل) بالتخفيف مضارع (أنزل) والجماعة (نُنَزَّل) بالتشديد مضارع (نزَّل) يراجع السبعة ١٦٤ ، ١٦٥ وحجة ابن خالويه٨٥ ومعاني الأزهري ١/ ١٦٥ ،١٦٦ والكشف ١/ ٢٥٣ ،٢٥٤ والمبسوط ١٣٢ ،١٣٣ والتيسير٧٥ والمحرر الوجيز ١/ ١٧٩ والعنوان٧٠ والبحر ١/ ٤٧٤ والدر المصون ١/ ٥١١ والنشر ٢/ ٢١٨ وغرائب القرآن ١/ ٣٢٩ .

(٢) آل عمران الآية ١٢٤ قرأها الجمهور (مُنْزَلِين) بتخفيف الزاي وفتحها وسكون النون اسم مفعول من (أُنْزِل) وقرأها ابن عامر (منزَّلين)بتشديد الزاي وفتح النون اسم مفعول من (نُزِّل) . يراجع السبعة ٢١٥ وحجة الفارسي ٣/ ٧٥ ومعاني القراءات ١/ ٢٧٢

﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١) .

التحليل

معنىٰ (نزل)

النزول في الأصل هو انحطاط من علو ، ومعناه : الحلول ، وتَنَزَّلَه وأَنْزَلَه ونَزَّلَه بمعنًىٰ (٢) .

يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا: حط رحله فيه، وأنزله غيره. قال تعالىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾ (٣) .

ونزل بكذا، وأنزله بمعنىٰ، وإنزال الله تعالىٰ : نعمه ونقمه علىٰ الخلق، وإعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللباس، ونحو ذلك، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ

وإعراب القراءات ١/ ١١٨ وحجة أبي زرعة ١٧٢ والتيسير ٩٠ والكشف ١/ ٣٥٥ والمحرر الوجيز ١/ ٥٠٤ ومفاتيح الغيب ٨/ ٣٥٣ والبحر ٣/ ٥٤ والدر المصون ٣/ ٣٨٦وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٣ والكشاف ١/ ٦٢٢.

(١) آل عمران الآية ١٥١ سبق عزو القراءة في الهامش رقم (٢).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ن ز ل ٩/ ٤٥ .

(٣) المؤمنون من الآية٢٩ .

ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ (١) ، و ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ (٢)، ﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ (٣) ، ﴿ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ (٤)، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَاجٖ (٥)، ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورٗا (٦).

والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقا، مرة بعد أخرىٰ، والإنزال عام .

فمما ذكر فيه التنزيل قوله: نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (٧) ، وقرئ: نزّل (٨) ،

(١) الكهف الآية ١ .

(٢) الشورىٰ من الآية ١٧ .

(٣) الحديد من الآية ٢٥ .

(٤) الحديد من الآية ٢٥.

(٥) الزمر من الآية ٦ .

(٦) الفرقان من الآية ٤٨.

(٧) الشعراء من الآية١٩٣.

(٨) وهي قراءة ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف. السبعة ٤٧٣ وحجة ابن خالويه ٢٦٨ والإتحاف ٤٢٤

﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (٢) ، ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(٣) .

وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل، لما روي: (أن القرآن نزل دفعة واحدة إلىٰ سماء الدنيا، ثم نزل نجْما فنجْما) ،وقوله تعالىٰ﴿أَشَدُّ : ٱلْأَعْرَابُ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ (٤) ،فخص لفظ الإنزال ليكون أعم، فقد تقدم أن الإنزال أعم من التنزيل. (٥) .

نقاش

ذهب سيبويه إلىٰ أن (نزَّل) (أنزل) بمعنىٰ واحد

قال سيبويه : (ومثل أفرحت وفرحت: أنزلت ونزلت، قال الله ﷻ: " ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً (٦)، وكثرهم وأكثرهم، وقللهم وأقلهم.) (٧)

---

(١) الإسراء من الآية ١٠٦.

(٢) الحجر من الآية ٩ .

(٣) الزخرف من الآية ٣١ .

(٤) التوبة من الآية ٩٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن ٧٩٩، ٨٠٠ بتصرف يسير .

(٦) الأنعام من الآية ٣٧.

(٧) الكتاب ٤/ ٥٥، ٥٦.

وقال في موضع آخر :(باب ما جاء المصدر فيه علىٰ غير الفعل لأن المعنىٰ واحد .... وزعموا أن في قراءة ابن مسعود: " وأنزل الملائكة تنزيلا (١) .؛ لأن معنىٰ أنزل ونزل واحد.) (٢)

وذهب أبو علي الفارسي إلىٰ أن(نزل) فعل غير متعدّ إلىٰ مفعول به. فإذا أردت تعديته إليه عدّيته بالأضرب الثلاثة التي يتعدّىٰ بها الفعل وهي النّقل بالهمزة، وبحرف الجرّ، وبتضعيف العين. يدلّك علىٰ أنّه غير متعدّ قولهم في مصدره: النزول. فالنّزول كالصّعود والخروج والقفول ، ونحو ذلك من المصادر التي لا تتعدىٰ أفعالها في أكثر الأمر. (٣)

(١) الفرقان من الآية ٢٥ ، وفي الإتحاف ٤١٧ : (واختلف في "وَنُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ" فابن كثير بنون مضمومة ثم ساكنة مع تخفيف الزاي المكسورةا ورفع اللام مضارع أنزل و"الملائكة" بالنصب مفعول به وحينئذ كان من حق المصدر إنزالاا قال أبو علي: لما كان أنزل ونزل يجريان مجرىٰ واحدا أجزأ مصدر أحدهما عن الآخراً وافقه ابن محيصناً والباقون بنون واحدة وكسر الزاي المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعولاً والملائكة بالرفع نائب الفاعل) .

(٢) الكتاب ٤/ ٨٢ ويراجع معاني الفراء ٢/ ٢٨٤ ،٣/ ١٣٤ و الخصائص ٢/ ٣٠٨ ،٣٠٩ وحكىٰ ابن منظور عن الأخفش (أنه لا فرق بَيْنَ نَزَّلْت وأَنْزَلْتُ إِلا صِيغَةَ التَّكْثِيرِ فِي نَزَّلْتُ) لسان العرب ن ز ل .

(٣) حجة الفارسي ٢/ ١٥٨.

و (فعّل) بمنزلة (أفعل)، وأن تضعيف العين للتعدّي وليس يراد به الكثرة كما أريد في نحو: وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ (١) (٢) .

وذهب مكي بن أبي طالب والزمخشري إلىٰ أن التضعيف في الفعل _(نزل) يفيد التكرير ؛ لأنه لما كان القرآن ينزل شيئا بعد شيئ شدد ؛ ليدل علىٰ هذا المعنىٰ ؛ إذ لو خفف لجاز أن ينزل مرة واحدة علىٰ النبي ـ ﷺ ـ ، ولم يكن كذلك (٣) .

وقال في قوله تعالىٰ : (إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةٍ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ) : ((مُنْزَلِينَ) في قراءة من قرأ بالتخفيف من (أنزل) ، ومن قرأ بالتشديد من (نزَّل) وفي التشديد معنىٰ التكرير وهو الاختيار ؛ لأن الجماعة عليه) . (٤) .

وذكر ابن سيده أن (أَنْزَل ونَزَّل) يستعملان في معنىٰ واحد ، و قد تستعمل (نزَّل) في التكثير .

قال ابن سيده : (وَقد استعملوا أَنْزَل ونَزَّل فِي معنىٰ واحدٍ وَقد يسْتَعْمل نزَّل فِي معنىٰ التكثير ، فَأَما: (أَنْزَل ونزَّل) بِمَعْنىٰ واحدٍ غير التكثير فقولُه ﷻ:

(١) يوسف من الآية ٢٣.

(٢) حجة الفارسي ٢/ ١٦١.

(٣) الكشف لمكي ١/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٤) الكشف ١/ ٣٥٥.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾ (١) ، وَقَالَ ﷻ: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ﴾ . فَهَذَا لغير التكثير ؛ لِأَن آيَة وَاحِدَة لَا يَقع فِيهَا تَكْثِير الْإِنْزَال ، وَكَانَ أَبُو عَمْرو يخْتَار التَّخْفِيف فِي كل مَوضِع لَيْسَ فِيهِ دلَالَة من الحضِّ علىٰ التثقيل إِلَّا فِي موضِعين أَحدهمَا قَوْله ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾(٢) . اخْتَار التثقيل فِي هَذَا لِأَنَّهُ تَنْزِيل بعد تَنْزِيل ، فَصَارَ من بَاب التكثيرِ ، والموضِعُ الآخر: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ﴾ . فَاخْتَارَ التَّشْدِيد فِي يُنَزِّل حَتَّىٰ يشاكل (نُزِّل) ؛ لِأَن الْمَعْنىٰ واحدٌ ، فَالْأول الَّذِي فِي الحِجْر للتكثير وَهَذَا للمُطابقة ، وَلَيْسَ للمطابقة تكثيرٌ ، وَقد يجوز أَن يكونَ (بيِّنَ) فِي معنىٰ (أبانَ) ، وَيجوز أَن يكونَ للتكثير.) (٣) .

(١) محمد من الآية ٢٠ .

(٢) الحجر الآية ٢١ .

(٣) المخصص لابن سيده ٤/ ٣٠٦، ٣٠٧ .

وذكر الزمخشري أن التضعيف أفاد التكثير ، قال : (فإن قلت: لم قيل ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (١). ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ ؟ قلت: لأن القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان جملة) (٢).

ورده أبوحيان بقوله : (وقال الزمخشري: فإن قلت لم قيل: نزل الكتاب، وأنزل التوراة والإنجيل؟.قلت: لأن القرآن نزل منجما، ونزل الكتابان جملة. انتهىٰ. وقد تقدم الرد علىٰ هذا القول. وإن التعدية بالتضعيف لا تدل علىٰ التكثير، ولا التنجيم، وقد جاء في القرآن: نزل وأنزل، قال تعالىٰ: (﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ (٣)و (﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (٤)، ويدل علىٰ أنهما بمعنىٰ واحد قراءة من قرأ ما كان ممن ينزل، مشددا بالتخفيف، إلا ما استثني، فلو كان أحدهما يدل علىٰ التنجيم، والآخر يدل علىٰ النزول دفعة واحدة، لتناقض الإخبار. وهو محال.) (٥)

وذهب السمين الحلبي إلىٰ أنهما بمعنىٰ واحد ، أو أنه جمع بين اللغات (٦) .

---

(١) آل عمران من الآية ٣.

(٢) الكشاف ١/ ٥٢٦ .

(٣) النحل من الآية ٤٤.

(٤) آل عمران من الآية ٧.

(٥) البحر المحيط ٢/ ٣٩٣ .

(٦) الدر المصون ١/ ٥١٢ ،٣/ ٢١ ،٥/ ١٢٤.

وما أسفر عنه البحث من ثنايا النقاش استعمال (نزّل وأنزل) بمعنىٰ واحد ؛ للأسباب الآتية :

١ ـ استعمال (فعّل) و (أفعل) بمعنىٰ واحد ، وهو قول سيبويه .

٢ ـ دلالة (فعّل) علىٰ التكثير ، ودلالة (أفعل) علىٰ غير التكثير لا يطرد ، ويؤيده قوله تعالىٰ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ (١) ، حيث جاء (فعّل) مع قوله (جملة واحدة) .

٣ـ نيابة مصدر أحد الفعلين عن الآخر ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلٗا﴾ (٢) في قراءة ابن كثير بنونين وتخفيف الزاي ونصب الملائكة ، فجمع بين مضارع (أنزل و مصدر (نزّل) .

٤ـ نص غير واحد من اللغويين علىٰ تساوي الفعلين معنىٰ .

****

ومثله : (**حِجُّ**)(**حَجُّ**)

قال تعالىٰ : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا**﴾(٣).

---

(١) الفرقان من الآية ٣٢ .

(٢) الفرقان من الآية ٢٥.

(٣) آل عمران الآية ٩٧ قرأها عاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بكسر الحاء، وقرأها ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو ونافع

توجيه القراءتين

الحجة لمن كسر أنه أراد الاسم ، والحجة لمن فتح أنه أراد المصدر. ومعناهما في اللغة : القصد. (١).

نقاش

أجمع النحويون واللغويون علىٰ أن (الحَجَّ) بالفتح مصدر ، واختلفوا في الكسر ، فذهب سيبويه إلىٰ أن (حِجُّ) بالكسر مصدر ، كـ (ذكر ذكرا) (٢).

والأصل (حَجُّ) ، وحِجةٌ، يراد به عمل سنةٍ. ولم يجيئوا به علىٰ الأصل، ولكنه اسمٌ لذا.

وفي نوادر أبي زيد الأنصاري : (والحَجَّة من حَجَّ البيت، الواحدة ، ويقال حِجَّة) ومنه قول الراجز :

يا رب إن كنت قبلت حَجَّتج
فلا يزال شاحج يأتيك بـــج
أَقْمرُ نَهَّاتٌ يُنَـزِّي وفرَتـــج (٣).

ويعقوب جامع البيان ٦/ ٤٥ يراجع السبعة ٢١٤ ومعاني القراءات ١/ ٢٦٨ ،٢٦٩ وإعراب القراءات ١/ ١١٧وحجة الفارسي ٣/ ٧١ والمبسوط ١٦٨ وحجة أبي زرعة ١٧٠ والكشف ١/ ٣٥٣ والتيسير ٩٠ والعنوان ٨٠ والبحر ٣/ ١٢ والدر المصون ٣/ ٣٢٣ والنشر ٢/ ٢٤١ و بلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٢ والكشاف ١/ ٥٩٧ والتبيان ١/ ٢٨١ .

(١) معاني الزجاج ١/ ٤٤٧ وحجة ابن خالويه ١١٣ ومعاني القراءات للأزهري ١/ ٢٦٩ .

(٢) الكتاب ٤ / ١٠.

(٣) الأبيات من الرجز لبعض أهل اليمن في النوادر ٤٥٦ وحجة الفارسي ٣/ ٧١ وللفراء في سر صناعة الإعراب ١/ ١٧٧وفيه:(لا همَّ ... بدل : يا رب) وبلا نسبة في مجالس ثعلب ١/ ١١٧ والمحتسب ١/ ٧٥.

أراد حجتي ووفرتي وبج ، أراد بي. الحجج: السنون واحدتها: حجة. والحَجَّة من حَجَّ البيت الواحدة ، ويقال حِجَّة ، وأنشد:

وإن رأيت الحِجَجَ الروادا

قواصِرًا بالعمر أو مَرَادا (١).

وقال آخر:

أصواتُ حِجٍّ من عُمَان غادي (٢).

يريد أصوات حجاج. الصواب حَجٍّ ولكنه رواه بالكسر ، كسر الحاء. (٣).

ونسب الطبري وأبو زرعة والرازي وأبو حيان الكسر لأهل نجد ، والفتح لأهل العالية ، ولا فرق بينهما . (٤).

وحكىٰ أبو بكر السجستاني في غريب القرآن أن الْحَجَّ وَالْحِجَّ لُغَتَانِ. وَيُقَال: الْحَج الْمصدر، وَالْحج الِاسْم. (٥).

(١) البيت من الرجز وهو بلا نسبة في نوادر أبي زيد ٤٥٧ وحجة الفارسي ٣/ ٧٢.

(٢) عجز بيت من الرجز وصدره : (كأَنما، أَصْواتُها بالوادِي) وهو بلا نسبة في نوادر أبي زيد ٤٥٧ وجمهرة اللغة لابن دريد (ج ر ر). واللسان ح ج ج وفيه : (عادي) مكان : غادي)

(٣) النوادر لأبي زيد ٤٥٦ ،٤٥٧ .

(٤) جامع البيان ٦/ ٤٦ وحجة أبي زرعة ١٧٠ ومفاتيح الغيب ٨/ ٣٠٣ والبحر المحيط ٣/ ١٢ والدر المصون ٣/ ٣٢٣ .

(٥) غريب القرآن المسمىٰ بنزهة القلوب ١٨٥ .

وذهب الزجاج والجوهري إلىٰ أن (حَجَّ) بالفتح المصدر ، والاسم (حِجّ) بالكسر . (١).

وذكر ابن خالويه أنه ليس في كلام العرب: المصدر للمرة إلا علىٰ فعلة، نحو: سجدت سجدة واحدة، وقمت قومة واحدة، إلا حرفين: حججت حجة واحدة، بالكسر ورأيته رُؤية واحدة، بالضم، وسائر الكلام بالفتح . (٢).

وذكر ابن عطية أن أكثر ما التزم كسر الحاء في قولهم : ذو الحجة ، وأما قولهم : حجة الوداع ونحوه ، فإنها علىٰ الأصل (٣).

ونسب مكي بن أبي طالب والسمين الحلبي إلىٰ سيبويه القول بأنهما مصدران ، فالمفتوح كـ (الرد والشد) ، والمكسور كـ (الذكر) (٤) ،. وسبقت الإشارة إلىٰ قول سيبويه .

اختيار القراءة

لا فرق بين قراءة الفتح والكسر عند الطبري والأزهري والرازي ، فهما لغتان معروفتان للعرب . (٥)

واختار ابن خالويه الفتح (٦) ؛ لاجتماع الجميع علىٰ فتح التي في البقرة (٧).

---

(١) معاني الزجاج ١/ ٤٧٧ والصحاح (ح ج ج) .

(٢) ليس في كلام العرب لابن خالويه ٣٥ .

(٣) المحرر الوجيز ١/ ٤٧٧ .

(٤) الكشف لمكي ١/ ٣٥٣ والدر المصون ٢/ ٣٠٤ .

(٥) جامع البيان ٦/ ٤٦ ومعاني القراءات ١/ ٢٦٩ ومفاتيح الغيب ٨/ ٣٠٣ .

(٦) إعراب القراءات السبع ١/ ١١٧.

(٧) يشير إلىٰ الآيات ١٨٩ ،١٩٦ ،١٩٧ .

والحق أنه لا فرق بين قراءة الفتح والكسر لورودهما عن العرب .

****

(يضرُّكم) و(يضرْكم)

(وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا) (١) .

التحليل اللغوي

جاء في العين للخليل : (ضر: الضَّرُّ والضُّرُّ لغتانِ، فاذا جَمَعْتَ بين الضَرِّ والنَّفْعِ فتَحْتَ الضّادَ، وإِذا أفرَدْتَ الضُرَّ ضَمَمْتَ الضاد إِذا لم تجعله مصدراً، كقولك ضَرَرْتُ ضُرّاً، هكذا يستعمله العَرَبُ. وقال الله تعالىٰ: (وَإِذَا مَسَّ

(١) آل عمران من الآية ١٢٠ قرأها ابن عامر وعاصم وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف (لا يضرُّكم) بضم الضاد مع التشديد ، والأصل : (يضرُرْكم) فنقلت حركة الراء الأولىٰ إلىٰ الضاد قبلها ثم أدغمت الراء في الراء ، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو ونافع ويعقوب (لا يضِرْكم) من (ضار)(يضير) خفيفة يراجع جامع البيان ٧/ ١٥٧ السبعة ٢١٥ وإعراب النحاس ١/ ٤٠٣ ومعاني القراءات ١/ ٢٧٠ وإعراب القراءات ١/ ١١٨ والمبسوط ١٦٨ وحجة القراءات ١٧١ والكشف ١/ ٣٥٥ والتيسير ٩٠ وحجة الفارسي ٣/ ٧٤ والبحر ٣/ ٤٦ والدر المصون ٣/ ٣٧٤ وبلا نسبة في معاني الفراء ١/ ٢٢٢ ومعاني الزجاج ١/ ٤٦٤ وحجة ابن خالويه ١١٣والكشاف ١/ ٦١٧ والتبيان ١/ ٢٨٨ .

ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ (١) .، والضَّرَرُ: النُّقصان يدخُلُ في الشيء، تقول: دَخَلَ عليه ضَرَرٌ في ماله.) (٢) .

و الضَّيْرُ : المَضَرَّةُ، و (لَا ضَيۡرَۖ (٣) ، أي لا حَرَجَ ولا مَضَرَّةَ). (٤) .

قال أبو ذُؤَيْبٍ

فَقِيلَ تَحَمَّلْ فَوْق طَوْقِكَ إِنَّها مُطَبَّعَةٌ مَنْ يأتِها لا يَضِيرُها (٥)

أي لا يَضِيرُ أَهْلَها لكَثْرِة ما فيها .

توجيه القراءتين

أولا : توجيه قراءة (يضرُّكم) بالضم والتشديد .

---

(١) يونس من الآية ١٢.

(٢) العين للخليل باب الضاد و الراء ويراجع تهذيب اللغة باب الضاد و الراء وفيه : (قلت: وَهَكَذَا قَالَ أَهلُ اللُّغَة، وَقَالَ فِي قَوْله جلّ وعزّ: (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ)، وَقَالَ: (كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ). وكلّ مَا كَانَ من سُوء حالٍ وفقر، فِي بدنٍ، فَهُوَ ضُرٌّ، وَمَا كَانَ ضِدّاً للنّفع فَهُوَ ضَرٌّ.) والغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي (ض ر ر) ٤/ ١١٢١ والمحكم والمحيط الأعظم ض ر ر ، وض ي ر.

(٣) الشعراء من الآية ٥٠.

(٤) العين باب الضاد والراء و (و أ ي ء) معهما .

(٥) البيت من الطويل وهو لأبي ذؤيب في الكتاب ٣/ ٧٠ والمحكم والمحيط الأعظم ولسان العرب ض ي ر وخزانة الأدب وبلا نسبة في المقتضب ٢/ ٧٠ وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٥٨ .

من (ضرَّ يضرُّ) ، وحجتهم أَن (ضُرّ) فِي الْقُرْآن أَكثر من (ضار) ، وَاسْتِعْمَال الْعَرَب (ضُرّ) أَكثر من (ضار) ، من ذَلِك ﴿ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ (١). و ﴿ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ (٢). وَهُوَ كثير فِي الْقُرْآن فَلَا يصرف عَن شَيْء كثر فِي الْقُرْآن(٣).

ثانيا : توجيه قراءة (لا يضِرْكم) بالكسر

ذهب الفراء والأخفش وغيرهما إلىٰ أنه من (الضير) (٤) .

و(الضير) و (الضُّرُّ) لغتان بمعنىٰ واحد عند الزجاج ، (٥) ، وقد جاءَ في القرآن: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ،

---

(١) المائدة من الآية٧٦ ويونس من الآية ٤٩ وطه من الآية ٨٩ والفرقان من الآية ٣ .

(٢) الأعراف من الآية ١٨٨ والرعد من الآية ١٦ وسبأ من الآية ٤٢ .

(٣) حجة أبي زرعة ١٧١ .

(٤) معاني الفراء ١/ ٢٣٢ ومعاني الأخفش ١/ ٢٣٢ وجامع البيان ٧/ ١٥٧ وحجة ابن خالويه ١١٣ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٨ وحجة الفارسي ٣/ ٧٥ والكشف ١/ ٣٥٥ والكشاف ١/ ٦١٧ والمحرر الوجيز ١/ ٤٩٨ ،٤٩٩ ونسب الطبري القراءة بالكسر والتخفيف لأهل الحجاز وبعض البصريين .

(٥) معاني الزجاج ١/ ٤٦٥ وحكىٰ الفراء عن الكسائي فيه لغة ثالثة لبعض أهل العالية (ضارَّه يضورُّه) ، فلو قرئت «لا يضُرُّكم» علىٰ هذه اللغة كان صوابا . معاني الفراء ١/ ٢٣٢ ورد قوله الزجاج ، قال : (وهذا غير جائز ولا يقرأ حرف من كتاب الله مخالف فيه الإجماع علىٰ قول رجل من أهل العالية.) معاني الزجاج ١/ ٤٦٥ .

وَجَاءَ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾(١).

وذهب القرطبي وأبو حيان علىٰ أنه من (ضَارَّهُ يَضُورُهُ وَيَضِيرُهُ ضَيْرًا وَضَوْرًا) ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين، لأنك لما حذفت الضمة من الراء بقيت الراء ساكنة والياء ساكنة فحذفت الياء، وكانت أولىٰ بالحذف، لأن قبلها ما يدل عليها. (٢).

نقاش

اختلفوا في ضمة الراء ، أهي ضمة إعراب أو ضمة إتباع لضمة الضاد قبلها ، علىٰ أقوال :

نُسِب القول إلىٰ سيبويه إنها حركة إتباع لضمة الضاد قبلها ، أو علىٰ حذف الفاء ،أو علىٰ التقديم ، والتقدير : لا يضركم أن تصبروا وتتقوا فلا يضركم» ، فحذف «فلا يضركم» الذي هو الجواب لدلالة ما تقدم عليه، ثم أخر ما هو دليل علىٰ الجواب (٣).

(١) الإسراء من الآية ٦٧ .

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ١٨٤ وحجة أبي زرعة ١٧١ و التبيان ١/ ٢٨٨ والبحر المحيط ٣/ ٤٦ والدر المصون ٣/ ٣٧٤ .

(٣) يراجع الكتاب ٢/ ٢٦٥ ، ٣/ ٦٦ وأمالي ابن الشجري ١/ ١٢٥ و المحرر الوجيز ١/ ٤٩٩ والبحر المحيط ٣/ ٤٦ والدر المصون ٣/ ٣٧٤ .

ومن حذف الفاء قول الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشـرّ بالشـرّ عنـد الله مـثلان

والتقدير : فالله يشكرها ، ومن تأويل التقديم قول الشاعر :

يـا أَقْـرَعُ بـنَ حـابسٍ يـا أَقْـرَعُ إنَّـك إن يُصْـرَعْ أخـوك تُصْـرَعُ

أي إنك تصرع إن يصرع أخوك. ومثل ذلك قوله:

هـذا سُـراقةُ للقُـرْآن يَدْرُسُـهُ والمرءُ عند الرُّشا إن يلقها ذيب (٣).

أي والمرء ذئب إن يلق الرشا. (٤) .

وذهب الفراء إلىٰ أن الفعل مجزوم ، وإن شئت جُعِلت جزما وإن كانت مرفوعة، تكون كقولك للرجل: مدُّ يا هذا، ولو نصبتها أو خفضتها كان صوابا ؛ لأن من العرب من يقول : مدَّ يا هذا، والنصب فِي العربية أهيؤها ، وإن شئت

(١) البيت من البسيط وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ٥١٦ والكتاب ٣/ ٦٤ ولعبد الرحمن بن ثابت في المقتضب ٢/ ٧٠ وأمالي ابن الشجري ٢/ ٩ ولكعب بن مالك الأنصاري في ديوانه ٢٨٨ ،٣١٢ وبلا نسبة في أمالي ابن الشجري ١/ ١٢٤.

(٢) البيت من الرجز وهو لجرير بن عبد الله البجلي في الكتاب ٣/ ٦٧ وبلا نسبة في المقتضب ٢/ ٧٢ وأمالي ابن الشجري ١/ ١٢٥ والمقرب لابن عصفور ١/ ٢٧٥ .

(٣) البيت من البسيط وهو بلا نسبة في الكتاب ٣/ ٦٧ وحجة الفارسي ٢/ ٢٤١ ، ٣٧٥وأمالي ابن الشجري ٢/ ٩١.

(٤) الكتاب ٣/ ٦٤ ، ٦٧ ويراجع إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٠٤ وتفسير القرطبي ٤/ ١٨٤ .

جعلته رفعا وجعلت (لا) علىٰ مذهب (ليس) فرفعت وأنت مضمر للفاء كما قال الشاعر : فإن كان لا يرضيك حَتَّىٰ تردني ... إلىٰ قطري لا إخالك راضيا (١).

وذهب المبرد إلىٰ أنه علىٰ إرادة الفاء (٢).

وذهب الزجاج إلىٰ أنها للتخلص من الساكنين ، و (لَا يَضُرُّكُمْ) الأجود فيه الضم لالتقاءِ الساكنين ، والأصل : لا يضرركم، فأدغمت الراء في الراء ونقلت ضمة الراء الأولىٰ إلىٰ الضاد وضمت الراء الآخرة، إتباعا لأقرب الحركات وهي ضمة الضاد، ولكن كثيراً من القراءِ والعرب يدغم في موضع الجزم. وأهل الحجاز يظهرون التضعيف .

وهذه الآية جاءَت فيها اللغتان جميعـًا –

فقوله تعالىٰ: (إِنْ تَمْسَسْكُمْ) علىٰ لغة أهل الحجاز، وقوله: (لَا يَضُرُّكُمْ) علىٰ لغة غيرهم من العرب وكلا الوجهين حسن . (٣).

ورده النحاس لأنه يشبه المرفوع ، والضم ثقيل . (٤) .

---

(١) البيت من الطويل وهو لسوَّار بن مضرب في النوادر ٢٣٣ وبلا نسبة في معاني الفراء ١/ ٢٣٢ وجامع البيان ٧/ ١٥٧ والخصائص ٢/ ٤٣٣ وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٨٤ . يراجع معاني الفراء ١/ ٢٣٢والكشف لمكي ١/ ٣٥٥.

(٢) المقتضب ٢/ ٧٠.

(٣) معاني الزجاج ١/ ٤٦٤، ٤٦٥ .

(٤) إعراب القرآن ١/ ٤٠٤ ، وقول الزجاج : (و (لَا يَضُرُّكُمْ) الأجود فيه الضم لالتقاءِ الساكنين) مردود بقوله تعالىٰ : (بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) (٤)..، فـ (يُمْدِدْكُمْ) جواب الشرط مجزوم ، وقد أظهر التضعيف ، وقوله تعالىٰ : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ) .

كما حكىٰ عن الكسائي والفراء القول بإضمار الفاء ، كقول الشاعر :

مـن يفعـل الحسـنات الله يشـكرها والشــرّ بالشــرّ عنــد الله مــثلان.

وَاسْتَشْهدَ الْكسَائي علىٰ إِضْمَار الْفَاء هَا هُنَا بقوله : (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) (١) ، مَعْنَاهُ : فَإِذا هم ، وَكَذَلِكَ قَوْله: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) (٢) ، أَي : فَإِنَّكُم لمشركون (٣).

واختار مكي بن أبي طالب القراءة بالتخفيف ؛ لخفتها ، ولأنها لغة موازنة قراءة التشديد .

والحق أن القراءتين حسنتان ؛ لمجيئهما جميعا في التنزيل ، ويؤيده أنهما بمعنىٰ واحد ، كما أن القول بحذف الفاء إنما هو خاص بضرورة الشعر ،والآية لا ضرورة فيها ، والأولىٰ أن يحملا علىٰ أنهما لغة ، لا سيما وأنه قد ورد (الضير) و (الضُّرُّ) في التنزيل العزيز . والله أعلم .

****

(١) الروم من الآية ٣٦ .

(٢) الأنعام من الآية ١٢١ .

(٣) حجة أبي زرعة ١٧١ .

(الـرُعْـب) (الـرُعُـب)

سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا) (١).

الرُّعْبُ: الانقطاع من امتلاء الخوف، يقال : رَعَبْتُهُ فَرَعَبَ رُعْبًا، فهو رَعِبٌ .

قال تعالىٰ: (وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ (٢)، وقال: (سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ، (وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) (٣)، ولتصوّر الامتلاء منه قيل: رَعَبْتُ الحوض: ملأته، وسيل رَاعِبٌ: يملأ الوادي، وباعتبار القطع قيل: رَعَبْتُ السّنام: قطعته. وجارية رُعْبُوبَةٌ: شابّة شطبة تارّة (٤) ، والجمع الرَّعَابِيبُ. (٥).

---

(١) آل عمران ١٥١ قرأها ابن عامر و الكسائي وأبو جعفر ويعقوب (الرُّعُب) بضم العين ، وهي لغة ، وقرأها ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة ونافع بسكون العين يراجع السبعة ٢١٧ ، وإعراب النحاس ١/ ٤١١ وإعراب القراءات ١/ ١٢٠ وحجة الفارسي ٣/ ٨٥ والمبسوط ١٧٠ وحجة القراءات ١/ ٣٦٠ والكشف ١/ ٣٦٠ والتيسير ٩١ والعنوان ٨١ ومفاتيح الغيب ٩/ ٣٨٤ والبحر ٣/ ٨٣ والدر المصون ٣/ ٤٣٤وغرائب القرآن ٤/ ٨٩ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٤ والكشاف ١/ ٦٣٩ والتبيان ١/ ٣٠٠ .

(٢) الأحزاب من الآية ٢٦ .

(٣) الكهف من الآية ١٨ .

(٤) الشّطبة: الحسنة، والتارّة: الممتلئة الجسم .

(٥) المفردات في غريب القرآن ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

التحليل اللغوي

ذهب النحاس والأزهري وابن خالويه إلىٰ أن (الـرُعْـب) (الـرُعُـب) لغتان(١).

واحتج ابن خالويه للقراءتين بقوله : (الرعب) يقرأ بإسكان العين، وضمها. فالحجة لمن أسكن: أن الأصل الضم فثقل عليه الجمع بين ضمتين متواليتين، فأسكن. والحجة لمن ضم: أن الأصل عنده الإسكان فأتبع الضم الضم، ليكون اللفظ في موضع واحد، كما قرأ عيسىٰ بن عمر : (تبارك الذي بيده المُلُك) (٢). بضمتين. وكيف كان الأصل فهما لغتان .

وذكر مكي بن أبي طالب و ابن عطية أنهما لغتان فاشيتان ،كالسُحْت والسُحُت و عُنُق وعُنْق) ، وكلاهما حسن فصيح (٣) .

وأجاز الرازي أن يكون (الرُعْب) بالسكون مصدرا، و(الرُعُب) بضمتين اسم منه (٤).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤١١ ومعاني القراءات للأزهري ١/ ٢٧٦ وحجة ابن خالويه ١١٤.

(٢) الملك صدر الآية ١ قرأها الجمهور بضم الميم وسكون اللام وقرأها عيسىٰ بن عمر بضمتين إتباعا لضم الميم .

حجة ابن خالويه ١١٤

(٣) الكشف لمكي ١/ ٣٦٠ والمحرر الوجيز ١/ ٥٢٣ .

(٤) مفاتيح الغيب ٩/ ٣٨٤ وتفسير القرطبي ٤/ ٢٣٢وفتح القدير ١/ ٤٤٥ .

وحكىٰ أبو حيان والسمين الحلبي القول بأن الأصل السكون ، وضم إتباعا كالصُبْح والصُبُح. وقيل: الأصل الضم، وسكن تخفيفا، كالرُّسُل والرُسْل (١).

وذكر السمين الحلبي أن قولهم : إن الأصل السكون وضم اتباعا ، هو عكس المعهود من لغة العرب (٢).

ومما سبق يتبن أن (الـرُعْـب) (الـرُعُـب) كلاهما لغة فاشية عن العرب صحت روايتها عنهم وصح الكلام بها ، وأن الأصل فيها الضم وسكن تخفيفا لوروده في كلامهم ، كالرُّسُل والرُسْل ، والعضد .

قال ابن جني : (ولما كانوا يقولون في "الرسُل، والكتُب: رسْل، وكتْب" فيسكنون غير الواو كراهية الضمة ويجيزون التسكين والتحريك كانت الواو حقيقة بإلزام السكون؛ لأنه قد انضم إلىٰ أن الحركة مستثقلة، أن الحرف نفسه واو، والواو ثقيلة، فلذلك اقتصروا فيها علىٰ التسكين وحده) (٣).

والله أعلم .

****

(١) البحر المحيط ٣/ ٨٣ والدر المصون ٣/ ٤٣٤ ،٤٣٥ وقولهم : (إن الأصل السكون وضم اتباعا) حكاه ابن خالويه في إعراب القراءات السبع ١/ ١٢٠.

(٢) الدر المصون ٣/ ٤٣٥.

(٣) المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني ٣٣٦ .

(**مُتُّم**) و(**مِتُّم**)

ومنه قوله تعالىٰ : (**وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**) (١) .

بيان

(مَاتَ يَمُوت) بابه : (فعَل يفعُل) ، مثل : دَامَ يَدُوم ، وَقَالَ يَقُول ، وَكَانَ يكون ، وهو الأشهر والأقيس (٢) .

أما قولهم دِمت ، ومِت فذهب سيبويه إلىٰ أنه شاذ في القياس .والضم أقيس .

قال سيبويه : (وأما : (مِت تموت) فإنما اعتلت من فعِل يفعُل، ولم تحول كما يحول (قلت وزدت) . ونظيرها من الصحيح فضِل يفضُل.) (٣) .

---

(١) آل عمران الآية ١٥٧ قرأها ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وحفص وأبو جعفر (مُتُّم) بضم الميم ، وقرأها حمزة والكسائي ونافع وخلف (مِتُّم) بكسر الميم . يراجع السبعة ٢١٨ وإعراب النحاس ١/ ٤١٥ وحجة الفارسي ٣/ ٩٢ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٢١ ومعاني الأزهري ١/ ٢٧٨ والمبسوط ١٧٠ والقرطبي ٤/ ٢٤٧ والكشف ١/ ٣٦١ ،٣٦٢ والتيسير ٩١ والبحر ٣/ ١٠٢ والدر المصون ٣/ ٤٥٨ والنشر ٢/ ٢٤٢ ،٢٤٣ وغرائب القرآن ٢/ ٢٧٧ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٥ والكشاف ١/ ٦٤٦والتبيان ١/ ٣٠٥ .

(٢) الكتاب ٤/ ٣٤١ وحجة ابن خالويه ١١٥ وحجة الفارسي ٣/ ٩٣ وحجة ابن زنجلة والكشف ١/ ٣٦١ ،٣٦٢ .

(٣) الكتاب ٤/ ٣٤١ و المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني ١/ ٢٥٦ .

وقال أيضا : (وقد جاء في الكلام فعِل يفعُل في حرفين، بنوه علىٰ ذلك كما بنوا (فعِل)علىٰ (يفعِل)، لأنهم قد قالوا : (يفعِل) في (فعِل) ، فأدخلوا الضمة كما تدخل في فعَل. وذلك (فضِل يفضُل ومِت تموت. وفضَل يفضُل) ، ومُتَّ تموت : أقيس ، وقد قال بعض العرب: كُدت تَكاد ، فقال : فَعلت تفعَل ، كما قال : فعِلت أفعَل، وكما ترك الكسرة كذلك ترك الضمة. وهذا قول الخليل وهو شاذٌ من بابه ، كما أن (فضِل يفضُل) شاذ من بابه ، فكما شركت (يفعِل يفعُل) كذلك شركت (يفعَل يفعُل) . وهذه الحروف من (فعِل يفعِل) إلىٰ منتهىٰ الفصل شواذ.) (١) .

وذكر ابن دريد أن مات يمات لغة يمانية (٢) .

وعليه جاء قول الشاعر :

بنيـــتي ســـيدة البنـــات عيشي ولا يـؤمن أن تمـاتي (٣)

وذكر ابن خالويه خمسة أفعال لم يسمع فيها إلا (فَعِل يَفعُل) : دِمْتُ أَدُومُ، ومِتُ أموت، وفضِل يفضُل، ونعِم ينعُم، وقنِط يقنُط، وقد حكىٰ ابن الأعرابي: فضَل ونعَم، فمن ضم المضارع فعلىٰ هذه اللغة. (٤) .

(١) الكتاب ٤/ ٤٠ .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ت م ي .

(٣) البيت من الرجز وهو بلا نسبة في حجة الفارسي ٣/ ٩٣ الصحاح ولسان العرب م و ت والبحر المحيط ٣/ ١٠٢ والدر المصون ٣/ ٤٥٨ ويروىٰ : بنيَّ يا سيدة البنات .....) .

(٤) ليس في كلام العرب لابن خالويه ٩٥ .

ونسب النحاس الكسر إلىٰ أهل الحجاز والضم إلىٰ سفلىٰ مضر . (١) .

وذكر أبو منصور الأزهري والجوهري أنهما لغتان ، وأفصحهما الضم .(٢) .

وذكر ابن جني أن الكسر قد يكون من تداخل اللغات (٣) .

ونسب ابن منظور (مات يمات) إلىٰ طيئ (٤) .

توجيه القراءتين

من ثنايا العرض السابق يظهر أن من قرأ (مُتُّم) بالضم أجراها علىٰ أصلها من : (قُلت تقول ، وطُفت تطوف)

وذكر أبي زرعة َحجَّة أُخْرَىٰ ، وَهُوَ قَوْله (وَفِيهَا تَمُوتُونَ) (٥) ، (وَيَوْمَ أَمُوتُ) (٦) ، وَلَو كَانَت علىٰ اللُّغَة الْأُخْرَىٰ لكَانَتْ : (تماتون) وَ (يَوْم أمات)؛ لِأَن (مِتَّ تمات) يَجِيء (فعِل يفعَل) ، وَمن (فعَل يفعُل) يَجِيء (قَالَ يَقُول)(٧) .

---

(١) إعراب النحاس ١/ ٤١٥ وتفسير القرطبي ٤/ ٢٤٧ والبحر المحيط ٣/ ١٠٢ ،١٠٣ والدر المصون ٣/ ٤٥٨ .

(٢) معاني القراءات ١/ ٢٧٨ وتاج اللغة م و ت والكشاف ١/ ٦٤٦ والتبيان ١/ ٣٠٥ .

(٣) المنصف ١/ ٢٥٦ وشرح ابن يعيش ٧/ ١٥٤ .

(٤) لسان العرب م و ت .

(٥) الأعراف من الآية ٢٥ .

(٦) مريم من الآية ٣٣.

(٧) حجة القراءات لأبي زرعة ١٧٨ .

ومن قرأها (مِتُّم) أجراها مجرىٰ خفت تخاف ، فقال : مات يمات (١) .

وحكىٰ أبي زرعة عن الخليل علة الكسر فقال : (وَأما من قَرَأَ : (متم) بِالْكَسْرِ فلَهُ حجتان : إِحدَاهمَا : ذكرهَا الْخَلِيل ، قَالَ : يُقَال : مِتَّ تَمُوت ودِمت تدوم (فعِل يفعُل) مثل : (فضل يفضل) قَالَ الشَّاعِر :

وَمَا مر من عيشي ذكرت وَمَا فضِل (٢) .

وَكَانَ الأَصْل عِنْده : (مَوِت)علىٰ (فعِل) ثمَّ استثقل الكسرة علىٰ الْوَاو فنقلت إِلَىٰ الْمِيم فَصَارَت موت ثمَّ حذفت الْوَاو لما اتَّصَلت بهَا تَاء المتكلم ؛ لِاجْتِمَاع الساكنين ، فَصَارَت (مِت) فَهَذَا فِي المعتل ، وَفضِل يفضُل فِي الصَّحِيح) (٣) .

اختيار القراءة

اختار مكي بن أبي طالب الضم ؛ لأن في الضم دلالة علىٰ الواو المحذوفة ،و لأنه كثير في الاستعمال غير شاذ في القياس ،و لأن الجماعة عليه . (٤) .

---

(١) حجة ابن خالويه ١١٥ و إعراب النحاس ١/ ٤١٥ وتفسير القرطبي ٤/ ٢٤٧ والكشاف ١/ ٦٤٦ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٠٣ والبحر المحيط ٣/ ١٠٢ ،١٠٣ والدر المصون ٣/ ٤٥٨.

(٢) عجز بيت من الطويل وهو لأبي الأسود الدؤلي في المنصف ١/ ٢٥٦ وصدره (ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر) وخزانة الأدب ١/ ٢٨٥ وبلا نسبة في حجة الفارسي ٣/ ٩٣ وحجة أبي زرعة ١٧٨ و المحرر الوجيز ١/ ٥٣٢ وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ١٥٤.

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ١٧٨.

(٤) الكشف لمكي ١/ ٣٦٢ .

وذكر أبو حيان والسمين الحلبي أن قراءة الكسر (مِتُّم) لغة فلا شذوذ فيها(١)

****

(**حزن**) و (**أحزن**)

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

التحليل اللغوي

جاء في جمهرة اللغة : (والحزن: مَعْرُوف يُقَال: حزن يحزن حَزَنا وحُزْنا. وَقد قرئَ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (٣). وحَزني.

---

(١) حجة ابن خالويه ١١٥ و إعراب النحاس ١/ ٤١٥ وتفسير القرطبي ٤/ ٢٤٧ والكشاف ١/ ٦٤٦ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٠٣ والبحر المحيط ٣/ ١٠٢، ١٠٣ والدر المصون ٣/ ٤٥٨.

(٢) آل عمران الآية ١٧٦ قرأها الجماعة (ولا يَحزُنك) بفتح الياء من (حزن) وقرأها نافع (يُحزِنك) بضم الياء وكسر الزاي مضارع (أحزن) في جميع القرآن إلا في سورة الأنبياء (لا يحزنهم الفزع الأكبر) الأنبياء من الآية ١٠٣ فإنه فتحها

يراجع السبعة ٢١٩ ومعاني الأزهري ١/ ٢٨١ وحجة الفارسي ٣/ ٩٩ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٢٣ والمبسوط ١٧١وحجة القراءات ١٨١والكشف ١/ ٣٦٥ والتيسير ٩١ والعنوان ٨١ والبحر ٣/ ١٢٦ والدر المصون ٣/ ٤٩٤والنشر ٢/ ٢٤٤ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٦ .

(٣) يوسف من الآية ٨٦ .

وحزنني هَذَا الْأَمر وأحزنني لُغَتَانِ فصيحتان أجازهما أَبُو زيد وَغَيره. وَقَالَ الْأَصْمَعِي: لَا أعرف إِلَّا حزنني يحزنني وَالرجل محزون وحزين وَلم يَقُولُوا محزن، وَجمع الْحزن : أحزان.) (١).

وجاء في الصحاح للجوهري : (حزن) : الحُزْنُ والحَزَنُ: خلاف السرور، وحَزِنَ الرجل بالكسر فهو حَزِنٌ وَحَزينٌ. وأَحْزَنَهُ غيره وحَزَنَهُ أيضاً، مثل أسلكه وسلكه. ومحزونٌ بُنيَ عليه. وقال اليزيدي: حَزَنَهُ لغة قريش، وأَحْزَنَهُ لغة تميم، وقد قرئ بهما. (٢).

توجيه القراءتين

قراءة الجمهور : (وَلَا يَحْزُنْكَ) بفتح الياء من (حزن يحزن) ، أما قراءة نافع (وَلَا يُحْزِنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي فهو من (أحزن يُحزِن) .

نقاش

فرَّق سيبويه بين التضعيف و الهمزة في (حزن) يقال : (حزَّنته وأحزنته) ، فـ (حزن وحزَّن) بمعنىٰ واحد ، و (حزن وأحزن) بينهما اختلاف .

قال سيبويه : (وتقول: فتن الرجل وفتنته، وحزن وحزنته، ورجع ورجعته. وزعم الخليل أنك حيث قلت : (فتنته وحزنته) لم ترد أن تقول: جعلته حزيناً وجعلته فاتناً، كما أنك حين قلت: أدخلته ، أردت : جعلته داخلاً ولكنك أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً وفتنةً، فقلت : فتنته كما قلت : كحلته، أي جعلت فيه كحلاً، و(دهنته) جعلت فيه دهناً، فجئت بفعَّلته علىٰ حدةٍ، ولم ترد بفعلته ههنا

(١) جمهرة اللغة ح ز ن .

(٢) الصحاح ح ز ن .

تغيير قوله : حزن وفتن ، ولو أردت ذلك لقلت : أحزنته وأفتنته. وفتن من فتنته كحزن من حزنته.) (١).

وذهب الفراء إلىٰ أن (حزن) و (أحزن) بمعنىٰ واحد (٢).

وحكىٰ ابن دريد عن الأصمعي أنه لم يسمع إلا (حزنني يحزنني) ، وَالرجل محزون وحزين ، وَلم يَقُولُوا (محزن) .

وذهب النحاس إلىٰ أن اللغتين وردتا عن العرب ، إلا أن (حزن يحزن) أفصحهما . (٣).

ترجيح القراءتين

رجح قراءة فتح الياء الأزهري وابن خالويه وأبي زرعة بن زنجلة ومكي بن أبي طالب ؛ لأنهم يقولون : محزون ، ولا يقولون : محزن ، ولأنها اللغة الفاشية المستعملة المجمع عليها (٤).

وحكىٰ الجوهري عن اليزيدي أن (حَزَنَهُ) لغة قريش، و(أَحْزَنَهُ) لغة تميم، وذهب القرطبي والعكبري والألوسي إلىٰ أن (أحزن) لغة قليلة (٥).

---

(١) الكتاب ٤/ ٥٦ .

(٢) كتاب فيه لغات القرآن ٥٣ ، سوّىٰ الفراء والفارسي والسمين الحلبي بينهما ولم يرجحوا إحداهما علىٰ الأخرىٰ . حجة الفارسي ٣/ ٩٩ ، ١٠٠ والدر المصون ٣/ ٤٩٥ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٨٩ .

(٤) معاني الازهري ١/ ٢٨١و اعراب القراءات السبع لابن خالويه ١/ ١٢٣ وحجة القراءات لأبي زرعة ١٨١ و الكشف لمكي ١/ ٣٦٥.

(٥) تفسير القرطبي ٤/ ٤٨٥ والتبيان ١/ ٣١٢ وروح المعاني ٢/ ٣٤٤.

والتمس السمين الحلبي لقراءة نافع ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ ﴾ (١) ـ بالفتح ـ وجها

قال : (ومِنْ عجيبِ ما اتفق أن نافعاً رحمه الله يقرأ هذه المادة من «أحزن» إلا التي في الأنبياء كما تقدم، وأن شيخه أبا جعفر يزيد بن القعقاع يقرؤها من «حَزَنه» ثلاثياً إلا التي في الأنبياء، وهذا من الجمع بين اللغتين، والقراءةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعةٌ.

والحقُّ أَنَّ حَزَنَه وأَحْزَنَه لغتان فاشيتان لثبوتهما متواترتين ، والله أعلم .

****

(ماز وميَّز وأماز)

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ﴾ (٢)

---

(١) الأنبياء من الآية ١٠٣.

(٢) آل عمران من الآية ١٧٩ قرأها ابن عامر وابن كثير وعاصم وأبو جعفر وأبو عمرو ونافع حتىٰ يَمِيز) بفتح الياء الأولىٰ وتخفيف الثانية وكسر الميم ، من (ماز) (يميز) ، وقرأها حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (يُميِّز) من (ميَّز) المضعف ، وقرأها ابن كثير في رواية (يُمِيز) بضم الياء الأولىٰ وكسر الميم مخففا من (أماز) الرباعي .

يراجع السبعة ٢٢٠ وحجة الفارسي ٣/ ١١٠ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٢٤ والمبسوط ١٧٢ والقرطبي ٤/ ٢٨٩ وحجة القراءات ١٨٢ والكشف ١/ ٣٦٩ والتيسير ٩٢ والمحرر ١/ ٥٤٦ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٤١ والبحر ٣/ ١٣١ والدر المصون ٣/ ٥٠٩ وغرائب القرآن ٢/ ٣١٤ والنشر ٢/ ٢٤٤ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٨ والكشاف ١/ ٦٦٥ والتبيان ١/ ٣١٤ .

التحليل اللغوي

جاء في الصحاح : (ميز) مزت الشئ أميزه ميزا: عزلته وفرزته. وكذلك ميزته تمييزا، فانماز، وامتاز، وتميز، واستماز، كله بمعنىٰ. يقال: امتاز القوم، إذا تميز بعضهم من بعض. وفلان يكاد يتميز من الغيظ، أي يتقطع. (١) .

وفي مفردات غريب القرآن : (ميز): المَيْزُ والتَّمْيِيزُ: الفصل بين المتشابهات، يقال: مَازَهُ يَمِيزُهُ مَيْزاً، ومَيَّزَهُ تَمْيِيزاً، قال تعالىٰ: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ (٢)، وقرئ: لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) (٣)

والتَّمْيِيزُ يقال تارة للفصل، وتارة للقوّة التي في الدّماغ، وبها تستنبط المعاني، ومنه يقال: فلان لا تمييز له، ويقال: انْمَازَ وامْتَازَ، قال: (﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ﴾(٤)،وتَمَيَّزَ كذا مطاوعُ مَازَ. أي: انْفَصَلَ وانْقَطَعَ، قال تعالىٰ: (﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ (٥) . (٦).

(١) الصحاح م ي ز .

(٢) الأنفال من الآية ٣٧ .

(٣) يراجع السبعة ٢٢٠، ٣٠٦ وحجة ابن خالويه ١٧١ والكشف لمكي ١/ ٣٦٩.

(٤) يس من الآية ٥٩ .

(٥) الملك من الآية ٨ .

(٦) المفردات في غريب القرآن ٧٨٣ .

توجيه القراءتين

أجمع النحويون علىٰ أن قراءة من قرأ :(يميز) بفتح الياء والتخفيف من (ماز يميز) أما قراءة من قرأ : (يُميِّز) من (ميَّز يُميِّز) ، أما قراءة ابن كثير في رواية (يُميز) بالتخفيف مع ضم الياء من (أماز) .

نقاش

ذهب كثير من النحويين واللغويين إلىٰ أن (ماز وميَّز) بمعنىٰ واحد ، إلا أن المشدد فيه معنىٰ التكثير ، وليس التضعيف للتعدية ؛ لأنك تقول : مزت المتاع ، وميَّزت المتاع فلا يحدث التشديد تعديا لم يكن في التخفيف . (١).

وذكر الفارسي أن مثل (ميَّز) (لقي وألقىٰ وعاض وعوَّض) ، وليست الهمزة أو التشديد فيها للنقل ؛ لتعديه إلىٰ مفعول قبل الهمزة والتشديد ، ولو كان منقولا من (لقي) لتعدّىٰ إلىٰ مفعولين، لأنّ (لقي) يتعدّىٰ إلىٰ مفعول في قولك: لقيت زيدا، ولو كانت الهمزة في ألقيت للنقل لتعدّىٰ إلىٰ مفعولين. (٢).

وحكىٰ القرطبي عن أبي معاذ الفرق بين (ماز) و(ميَّز) أن (مزت الشيء أميزه ميزا) إذا فرقت بين شيئين. فإن كانت أشياء قلت: ميزتها تمييزا. ومثله إذا جعلت الواحد شيئين قلت: فرقت بينهما، مخففا، ومنه فرق الشعر. فإن جعلته

---

(١) إعراب القراءات السبع ١/ ١٢٤ وحجة الفارسي ٣/ ١١٠ و الصحاح م ي ز وكشف مكي ١/ ٣٦٩ ومفردات الأصفهاني ٧٨٣ والتبيان ١/ ٣١٤ والبحر ٣/ ١٣١ والدر المصون ٣/ ٥٠٩ وروح المعاني ٢/ ٣٤٨.

(٢) حجة الفارسي ٣/ ١١١، ١١٢ .

أشياء قلت: فرقته تفريقا. قلت: ومنه امتاز القوم، تميز بعضهم عن بعض. ويكاد يتميز: يتقطع، وبهذا فسر قوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ (١).

وحكىٰ السمين الحلبي عكس هذا القول فقال: (قال بعضهم: لا يقال : (ماز) إلا في كثير من كثير، فأما واحد من واحد فَمَيَّزت، ولذلك قال أبو معاذ: يقال: (مَيَّزْتُ بين الشيئين ومِزْتُ بين الأشياء) . وقال بعضُهم عكسَ هذا: مِزْتُ بين الشيئين ومَيَّزْتُ بين الأشياءِ، وهذا هو القياسُ، فإنَّ التضعيفَ يُؤْذِنُ بالتكثير وهو لائقٌ بالمتعددات. ورجَّح بعضُهم (مَيَّز) بالتشديد لأنه أكثر استعمالاً، ولذلك لم يُسْتعمل المصدرُ إلا منه فقالوا: التمييز، ولم يقولوا: (المَيْز) يعني لم يقولوه سماعاً وإلا فهو جائز قياساً. (٢).

اختيار القراءة

واختار الأخفش و مكي بن أبي طالب القراءة بالتخفيف لإجماع الجماعة عليه (٣).

والحق أن قراءة من قرأ (يميز) بفتح الياء الأولىٰ والتخفيف ، وقراءة (يُميِّز) بضمها مع التشديد ، وقراءة (يُميز) بضم الياء مع التخفيف ، كلها صحيحة ، لأنّ (ماز) فعل متعد إلىٰ مفعول واحد، كما أنّ (ميّز) و (أماز) كذلك ، أما قول من قال : إن (ماز) يستعمل في التفرقة بين الشيئين ، و (ميَّز) يستعمل للتفرقة

(١) تفسير القرطبي ٤/ ٢٨٩.

(٢) الدر المصون ٣/ ٥٠٩ .

(٣) معاني الأخفش ١/ ٣٤٩ الكشف لمكي ١/ ٣٦٩ .

بين الأشياء فالآية تحتمل المعنيين ؛ لأنه قد يكون المعنىٰ : حتىٰ يَميز الفريق الخبيث من الطيب ، أو حتىٰ يُميِّز الجمع الخبيث من الطيب . والله أعلم .

****

المبحث الثاني : اختلاف الأبنية واتفاق الفاعل

(وَيُعَلِّمُهُ) و (وَنُعَلِّمُهُ)

ومنه قوله تعالىٰ : (وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ)(١) .

توجيه القراءتين

ذهب الطبري والنحاس إلىٰ أن من قرأها بالنون عطفه علىٰ قوله : (نُوحِيهِ إِلَيْكَ) ، كأنه قال: (ذلك من أنباء الغيب نُوحيه إليك ونعلمه الكتاب). وقالوا: ما بعد (نُوحِيه) في صلته إلىٰ قوله: (كُن فَيَكُونُ) ، ثم عطف بقوله: (ونعلمه) عليه. (٢).

وذهب أبو منصور الأزهري إلىٰ أن القراءتين بمعنىٰ واحد (٣) .

---

(١) آل عمران من الآية ٤٨ قرأها ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالنون والباقون بالياء . يراجع السبعة ٢٠٦ وإعراب النحاس ١/ ٣٧٨ ومعاني القراءات ١/ ٢٥٥ وإعراب القراءات ١١٣وحجة أبي زرعة ١٦٣ والتيسير ٨٨ ومفاتيح الغيب ٨/ ٢٢٦ والبحر ٢/ ٤٨٤ والدر المصون ٣/ ١٨٢والنشر ٢/ ٢٤٠ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١٠٨ ومعاني الأخفش ١/ ٢٢٠والتبيان ١/ ٢٦١ .

(٢) جامع البيان ٦/ ٤٢٢ وإعراب النحاس ١/ ٣٧٨ .

(٣) معاني القراءات ١/ ٢٥٥.

وجعل ابن خالويه قراءة النون من إخبار الله تعالىٰ عن نفسه عاطفا به علىٰ قوله: (نُوحِيهِ إِلَيْكَ). ، وقراءة الياء من أخبار الملك عن الله ﷻ بما يفعله به عطفا علىٰ قوله: (كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ)(١) .

وذهب الفارسي إلىٰ أن من قرأها بالياء أو بالنون جعلها معطوفة علىٰ (يبشرك) ، إلا أنه التفت به من الغيبة إلىٰ التكلم ، علىٰ نحو قوله تعالىٰ : (نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ) (٢).

وزاد الزمخشري أن تكون معطوفة علىٰ (وجيها)أو علىٰ (يخلق) ، أو هو كلام مبتدأ. (٣) .

---

(١) حجة ابن خالويه ١٠٩ ويراجع إعراب القراءات السبع ١/ ١١٣ وحجة أبي زرعة بن زنجلة ١٦٣ والكشف لمكي ١/ ٣٤٤ وفيه : (وحسُن ذلك لأن قبله إخبارا من الله عن نفسه في قوله تعالىٰ: (قال كذلك الله) .

(٢) الواقعة من الآية ٦٠ ويراجع الحجة للفارسي ٣/ ٤٣ .

(٣) الكشاف ١/ ٥٥٩ ورد أبو حيان قول الفارسي والزمخشري لطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه كما رد قول الزمخشري إنه قول مستأنف بأنه يلزمه إما بيان المعطوف عليه ؛ لأن الواو عاطفة ، وإما القول بزيادة الواو) البحر المحيط ٢/ ٤٨٥ ، ورد اعتراضه علىٰ الزمخشري السمين الحلبي بأنه لا يلزم من كون الكلام مستأنفا زيادة الواو ، ولا أنه لا بد من معطوف عليه، لأن النحويين وأهل البيان نصوا علىٰ أن الواو تكون للاستئناف، بدليل أن الشعراء يأتون بها في أوائل أشعارهم من غير تقدم شيء يكون ما بعدها معطوفا عليه، والأشعار مشحونة بذلك، ويسمونها واو الاستئناف، ومن منع ذلك قدر أن الشاعر عطف كلامه علىٰ شيء منوي في نفسه، ولكن الأول أشهر القولين. الدر المصون ٣/ ١٨٤.

ورد ابن عطيه توجيه الطبري لفساد المعنىٰ (١) ، ولم يبين جهة فساده .

وذكر أبو حيان والسمين الحلبي جهة فساده من ناحية اللفظ والمعنىٰ .

قال أبو حيان : (أما قراءة النون فظاهر فساد عطفه علىٰ:(نوحيه) ، من حيث اللفظ، ومن حيث المعنىٰ، أما من حيث اللفظ : فمثله لا يقع في لسان العرب لبعد الفصل المفرط، وتعقيد التركيب، وتنافر الكلام. وأما من حيث المعنىٰ : فإن المعطوف بالواو شريك المعطوف عليه، فيصير المعنىٰ بقوله : ذلك من أنباء الغيب أي: إخبارك يا محمد بقصة امرأة عمران، وولادتها لمريم، وكفالة زكريا، وقصته في ولادة يحيىٰ له، وتبشير الملائكة لمريم بالاصطفاء والتطهير، كل ذلك من أخبار الغيب نعلمه، أي: نعلم عيسىٰ الكتاب، فهذا كلام لا ينتظم معناه مع معنىٰ ما قبله). (٢).

اختيار القراءة

البيّن والظاهر من هاتين القراءتين أنهما قراءتان مختلفتان، غير مختلفتي المعاني، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصوابَ في ذلك، لاتفاق معنىٰ القراءتين، في أنه خبر عن الله بأنّه يعلم عيسىٰ الكتاب، أو أن الله تعالىٰ أخبر عن نفسه أنه يعلمه ، وأن قراءة النون توجه علىٰ الالتفات من الغيبة إلىٰ التكلم . والله أعلم بمراده .

****

(١) المحرر الوجيز ١/ ٤٣٧ .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٤٨٥ والدر المصون ٣/ ١٨٤ ،١٨٥ .

(فَيُوَفِّيهِمْ) و (فَنُوَفِّيهِمْ)

ومنه قوله تعالىٰ : (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ) (١) .

توجيه القراءتين

حجة من قرأ بالياء أنه حمله علىٰ لفظ الغيبة في قوله : (إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ) ، وقوله : (وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ) .(٢) .

وحجة من قرأها بالنون ليتصل إخبار الله تعالىٰ عن نفسه بعضه ببعض ؛ فقبله (فَأُعَذِّبُهُمْ) ؛ إذ الإخبار بالهمزة كالإخبار بالنون ، وبعده (نتلوه) ، فحمل الكلام علىٰ نظام واحد أوسطه كأوله وآخره ، وليتطابق الكلام ويتجانس .

وجعل أبو حيان و السمين الحلبي قراءة حفص علىٰ الالتفات من التكلم إلىٰ الغيبة تفننا في الفصاحة. وقراءة الباقين جارية علىٰ ما تقدم من اتساق النظم،

---

(١) آل عمران الآية ٥٧ قرأها ابن عامر وابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو وحمزة والكسائي ونافع ويعقوب وخلف بالنون وقرأها عاصم بالياء يراجع السبعة ٢٠٦ وإعراب القراءات ١/ ١١٤ وحجة الفارسي ٣/ ٤٥ ومعاني القراءات ١/ ٢٥٨ والتيسير للداني ٨٨ وحجة أبي زرعة ١٦٤والكشف ١/ ٣٤٥ والبحر ٢/ ٤٩٩ والدر المصون ٣/ ٢١٦ والنشر ٢/ ٢٤٠و بلا نسبة في معاني الأخفش ١/ ٢٢٠وحجة ابن خالويه ١١٠والكشاف للزمخشري ١/ ٥٦٢.

(٢) إعراب القراءات السبع ١/ ١١٤ وحجة ابن خالويه ١١٠والكشف ١/ ٣٤٥ .

ولكن جاء هناك بالمتكلم وحده (فَأُعَذِّبُهُمْ) ،وهنا بالمتكلم وحده المعظم نفسه ليخالف في الإخبار بين النسبة الإسنادية فيما يفعله بالكافر وبالمؤمن، كما خالف في الفعل، ولأن المؤمن العامل للصالحات عظيم عند الله، فناسبه الإخبار عن المجازي بنون العظمة ،ولزيادة الاعتناء بالمؤمنين ورفعا من شأنهم لما كانوا معظمين عنده. (١) .

اختيار القراءة

ذهب النحاس وأبو منصور الأزهري إلىٰ أن المعنىٰ واحد في الياء والنون ، لأن الله هو الموَفِّي للأجُور، لا شريك له. (٢) .

اختار ابن خالويه ومكي بن أبي طالب القراءة بالنون (٣) .

والاختيار أنهما قراءتان بمعنىٰ واحد ؛ لأن الله هو الموَفِّي للأجُور، لا شريك له .

****

(١) البحر المحيط ٢/ ٤٩٩ والدر المصون ٣/ ٢١٦ بتصرف .

(٢) إعراب النحاس ١/ ٣٨٢ ومعاني القراءات ١/ ٢٥٩ .

(٣) إعراب القراءات السبع ١/ ١١٤ والكشف ١/ ٣٤٥ .

(لَمَا آتَيْتُكُمْ) و (لَمَا آتَيْنَاكُمْ)

(وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ.....) (١) .

توجيه القراءتين

اتفق أصحاب القراءات والمفسرون علىٰ أن حجة من قرأ بالتاء: أنه أتىٰ بالكلام علىٰ ما يوجبه الإخبار عن المتكلم إذا أخبر بفعله عن نفسه. ومثله في (الحج) : (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا) (٢) . وأَهْلَكْتها. والخبران باللفظين

(١) آل عمران من الآية ٨١ قرأها الجمهور (لما آتيتكم) بتاء مضمومة ، وقرأها أبو جعفر ونافع والأعرج والحسن (آتيناكم) بنون التعظيم بعدها ألف علىٰ تنزيل الواحد منزلة الجمع . يراجع السبعة ٢١٤ وحجة الفارسي ٣/ ٦٩ ومعاني القراءات ١/ ٢٦٥ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٦ والمحتسب ١/ ١٦٤ وحجة القراءات ١٦٩والتيسير ٨٩ والكشف ١/ ٣٥١ والمحرر الوجيز ١/ ٤٦٥ ومفاتيح الغيب ٨/ ٢٧٦ والبحر المحيط ٢/ ٥٣٥ والدر المصون ٣/ ٢٩٢ والنشر ٢/ ٢٤١ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٢ والتبيان ١/ ٢٧٧.

(٢) الحج من الآية ٤٥ قرأها الجمهور (أهلكناها) بنون العظمة ، وقرأها أبو عمرو ويعقوب وسهل والحسن واليزيدي وابن جماز عن أبي بكر عن عاصم (أهلكتها) وهي اختيار أبي عبيد . السبعة ٤٣٨ وحجة ابن خالويه ٢٥٤ وحجة أبي زرعة ٤٧٩ والكشف ٢/ ١٢١ والنشر ٢/ ٣٢٧.

عن الله ﷻ. (١) ، ليوافق ما قبله ، وهو قوله : (**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ**) ، وما بعده ، وهو قوله : (إصري) .

وحجة من قرأ بالنون: أن الله تعالىٰ أخبر عن نفسه بنون الملكوت (٢) ؛ ذلك أن الملك يخبر عن نفسه بلفظ الجماعة (فعلنا) ، (وصنعنا) ، قال الله تعالىٰ : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) (٣) ، والله تعالىٰ وحده لا شريك له (٤) .

وجعلها ابن جني من باب التعالي في اللفظ ، قال ابن جني : (وأما : (آتيناكم) بالجمع فطريقه أنه لما ورد مع لفظ الجماعة من النبيين جاء أيضًا مجموعًا تعاليًا في اللفظ؛ كقوله تعالىٰ: (نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً) (٥) ، وقال سبحانه: (وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ)(٦).، ولو كانت: وضربت لكم الأمثال، لم تبلغ في سمو اللفظ وتعاليه في قوله: (وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ، فتفهَّم معناه). (٧).

---

(١) حجة ابن خالويه ١١٢ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٤ والكشف ١/ ٣٥٢ .
(٢) إعراب القراءات السبع ١/ ١١٤ وحجة ابن خالويه ١١٢وحجة أبي زرعة ١٦٩.
(٣) إعراب القراءات السبع ١/ ١١٤ وحجة ابن خالويه ١١٢.
(٤) إعراب القراءات السبع ١/ ١١٤ وحجة ابن خالويه ١١٢.
(٥) الإنسان الآية ٢٨ .
(٦) إبراهيم من الآية ٤٥ .
(٧) المحتسب ١/ ١٦٤ .

وجعلهما السمين الحلبي التفاتا .

قال : (وفي قوله : (آتيتكم) أو (آتيناكم) علىٰ كلا القراءتين التفاتان أحدهما: الخروج من الغيبة إلىٰ التكلم في قوله : (آتينا) أو (آتيت)؛ لأن قبله ذكر الجلالة المعظمة في قوله: (**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ**) ، والثاني: الخروج من الغيبة إلىٰ الخطاب في قوله: (آتيناكم) ؛ لأنه قد تقدمه اسم ظاهر وهو (النبيين) ؛ إذ لو جرىٰ علىٰ مقتضىٰ تقدم الجلالة والنبيين لكان التركيب : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتاهم من كتاب كذا، قال بعضهم : وفيه نظر ؛ لأن مثل هذا لا يسمىٰ التفاتا في اصطلاحهم، وإنما يسمىٰ حكاية الحال، ونظيره قولك: حلف زيد ليفعلن ولأفعلن، فالغيبة مراعاة لتقدم الاسم الظاهر، والتكلم حكاية لكلام الحالف، والآية الكريمة من هذا) .(١).

والحق أنه قد ورد لذلك نظائر كثيرة ، منها قوله تعالىٰ : (ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) .(٢). ، وقبله (سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ) .(٣). ، ومنه قوله تعالىٰ : (وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ

(١) الدر المصون ٣/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) الإسراء من الآية الأولىٰ والثانية .

(٣) الإسراء من الآية الأولىٰ .

ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ .(١)، والآيات قبلها وبعدها بنون المعظم نفسه ، وقبل هذه الآيات : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ.(٢) ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (٣) ، وقبله : ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ . (٤). ، وأمثلته كثيرة ، والله أعلم

.**********

(**يبغون**)و (**تبغون**)(**يرجعون**)و(**ترجعون**)

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٥) .

---

(١) الصافات الآية ١١٦.

(٢) الصافات الآية ٩٦ .

(٣) ص الآية ٣٠ .

(٤) ص الآية ٩ .

(٥) آل عمران الآية ٨٣ قرأها أبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم وعباس وسهل واليزيدي والحسن بالياء والباقون بالتاء علىٰ الخطاب وهو علىٰ الالتفات من الغيبة إلىٰ الخطاب . يراجع السبعة ٢١٤ وحجة الفارسي ٣/ ٦٩ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٧ والكشف ١/ ٣٥٣ والتيسير ٨٩ والعنوان٨٠ والكشاف ١/ ٥٧٧ ومفاتيح الغيب ٨/ ٢٧٩ والبحر ٢/ ٥٣٧ ، ٥٣٩ والدر المصون ٣/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ والنشر ٢/ ٢٤١ وغرائب الفرقان ٢/ ١٩٧وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٢ والتبيان ١/ ٢٧٧.

توجيه القراءتين

ذكر ابن خالويه أن من قرأ : (**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ**) (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء فحجته : قل لهم يا محمد مخاطبا: أفغير دين الله تبغون؟ أي تطلبون، و أنتم عالمون أنكم إليه ترجعون.

أما من قرأهما بالياء فحجته :أنه إخبار عن الكفار ،كأن الله ﷻ عجَّب نبيه ﷺ منهم فقال له: (أفغير دين الله يبغون) مع علمهم أنهم إليه يرجعون؟ والحجة لمن قرأ الأول بالياء، والثاني بالتاء: أنه فرق بين المعنيين فجعل الأول للكفار، وأشرك المؤمنين في الرجوع معهم. وهذا حذق بالقراءة ومعرفة بمعانيها. (١) .

وجعل الفارسي قراءتي (يبغون) (يرجعون) و (تبغون) (ترجعون) كلتيهما علىٰ خطاب سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ، بدلالة قوله تعالىٰ : (قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا...) (٢) ، أي قل لهم: (أفغير دين الله تبغون وإليه ترجعون) ؛ ليكون

---

(١) حجة ابن خالويه ١١٢ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٧ ويؤيده علىٰ قراءة الياء: ان قبله : (فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ، وعلىٰ قراءة التاء قبله قوله : (لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي) تفسير القرطبي ٤/ ١٢٧ ومفاتيح الغيب ٨/ ٢٧٩ .

(٢) آل عمران من الآية ٨٤ ، و ما ذكره الفارسي من استدلاله علىٰ قراءة التاء كان الأولىٰ به أن يستدل بما هو قبله لا بما هو بعده ؛ لأن ما قبله يحتمل الأمرين ، بخلاف قوله : (قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) فليس فيه إلا الخطاب .

مثل (تبغون) في أنّه خطاب. ويؤكّد التاء في (ترجعون) أنّهم كانوا منكرين للبعث، ويدل علىٰ (ترجعون) (ثم إلي مرجعكم) (١) ،أو قل لهم: أفغير دين الله يبغون، وإليه يرجعون؟! لأنّهم غيب فجاء علىٰ لفظ الغيبة ، وكذلك: وإليه يرجعون. (٢) .

وذكر القرطبي والرازي أن قراءة الياء في (يبغون) و (يرجعون) لوجهين أحدهما:

الرد إلىٰ قوله : (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ) (٣) . ،والثاني: أنه علىٰ جهة الاستنكار ، أفغير دين الله يبغون؟!، أما قراءة أبي عمرو تبغون بالتاء فعلىٰ خطاب اليهود وغيرهم من الكفار ، و (يرجعون) بالياء ليرجع إلىٰ جميع المكلفين المذكورين في قوله : (وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)، أما قراءة من قرأ (تبغون) (ترجعون) فيهما بالتاء علىٰ الخطاب، لأن ما قبله خطاب ، وهو قوله: (لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ) وقوله : (ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ) (٤) ، كما لا يبعد أن يقال للمسلم والكفار ولكل أحد:

(١) آل عمران من الآية ٥٥ .
(٢) حجة الفارسي ٣/ ٦٩، ٧٠ .
(٣) آل عمران من الآية ٨٢ .
(٤) آل عمران من الآية ٨١ .

أفغير دين الله تبغون مع علمكم بأنه أسلم له من في السموات والأرض، وأن مرجعكم إليه . (١) .

وذهب أبو حيان أن قراءة الياء علىٰ الالتفات من الغيبة إلىٰ الخطاب (٢) .

اختيار القراءة

وذهب الطبري والأزهري فيما حكاه عن المنذري عن ابن عباس إلىٰ أن أولىٰ القراءتين بالصواب عنده قراءةُ من قرأ: (أفغير دين الله تبغون) علىٰ وجه الخطاب (وإليه تُرجعون) بالتاء ؛ لأن الآية التي قبلها خطابٌ لهم، فإتباعُ الخطاب نظيرَه، أولىٰ من صرف الكلام إلىٰ غير نظيره. (٣) .ولم يمنع قراءة الياء ؛ لأن الحكاية يخرج الكلام معها أحيانًا علىٰ الخطاب كله، وأحيانًا علىٰ وجه الخبر عن الغائب، وأحيانًا بعضُه علىٰ الخطاب، وبعضُه علىٰ الغيبة، فقوله : (تبغون) و(إليه ترجعون) في هذه الآية، من ذلك. (٤) .

وفي كلتا القراءتين معنىٰ التهديد والوعيد (٥) .

والحق أن كلتا القراءتين يحتمل المعنىٰ المذكور ، لا سيما وقبله ما يؤيده ، فلا تفضيل لإحداهما علىٰ الأخرىٰ . والله أعلم .

****

(١) تفسير القرطبي ٤/ ١٢٧ ومفاتيح الغيب ٨/ ٢٧٩.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٥٣٨.

(٣) جامع البيان ٦/ ٥٦٤ ومعاني القراءات ١/ ٢٦٧.

(٤) جامع البيان ٦/ ٥٦٤ .

(٥) حجة الفارسي ٣/ ٧٠ والكشف ١/ ٣٥٣.

(**وَاللّه بِمَا تعْمَلُونَ خَبِير**) (**والله بما يعملون خبير**)

ومنه قوله تعالىٰ : (**وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ** (١) .

توجيه القراءتين

قال أبو علي الفارسي: القول في ذلك أنّ من قرأ بالياء أتبعه ما قبله، وهو علىٰ الغيبة، وذلك قوله : (سَيُطَوَّقُون) (٢) ، (والله بما يعملون خبير) (٣) ، من منعهم الحقوق من أموالهم فيجازيهم عليه ، ومن قرأ بالتاء فلأنّ قبله خطابا، وهو قوله: (وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (٤) ،والله بعملكم المرضيّ خبير فيجازيكم عليه، فالغيبة أقرب إليه من الخطاب (٥).

---

(١) من الآية ١٨٠ من سورة آل عمران ، قرأها ابن كثير وأبو عمرو (وَاللهُ بِمَا يعْمَلُونَ خَبِير) بِالْيَاءِ وقرأ ابن عامر و عاصم وحمزة والكسائي و نافع (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير) بِالتَّاءِ . السبعة في القراءات ٢٢٠، وحجة الفارسي ٣/ ١١٣، ومعاني القراءات ١/ ٢٨٥ ، و التيسير ٩٢ والمحرر الوجيز ١/ ٥٤٧ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٤٥ والبحر ٣/ ١٣٤ والدر المصون ٣/ ٥١٣ وبلا نسبة في الكشاف ١/ ٦٦٧ و التبيان ١/ ٣١٤ .

(٢) آل عمران/ ١٨٠.

(٣) آل عمران/ ١٨٠.

(٤) آل عمران/ ١٧٩.

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/ ١١٣.

وجعل الزمخشري وأبو حيان قراءة التاء علىٰ طريقة الالتفات، وهي أبلغ في الوعيد والياء علىٰ الظاهر. (١)

****

ومثله قوله تعالى : (**سنكتب ....ونقول**) (**سيكتب ....ويقول**)

لَّقَد سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (٢) .

توجيه القراءتين

أولا : توجيه قراءة من قرأ بالنون

احتج من قرأها بالنون بأنه إخبار من الله تعالىٰ عن نفسه، وهو الفاعل لذلك ، ومثله قوله: (بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ) (٣) ، ثمّ قال: (سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ (٤) .

(١) الكشاف ١/ ٦٦٧ والبحر المحيط ٣/ ١٣٤.

(٢) آل عمران الآية ١٨١ قرأها الجمهور (سنكتب) بنون العظمة ، وقرأها حمزة بالياء وبناء الفعل للمفعول يراجع السبعة ٢٢١ وإعراب القراءات السبع١/ ١٢٤ وحجة الفارسي ٣/ ١١٥ والتيسير ٩٢ والكشف ١/ ٣٦٩ والعنوان ٨٢ والكشاف ١/ ٦٦٨ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٤٧ والبحر ٣/ ١٣٦ والدر المصون ٣/ ٥١٤ والنشر ٢/ ٢٤٥وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٧ و التبيان ١/ ٣١٥ .

(٣) آل عمران من الآية ١٥٠.

(٤) آل عمران من الآية ١٥١.

و (ما) في موضع نصب بتعدي الفعل إليها، وهي وصلتها بمعنىٰ المصدر ، (وقتلهم) منصوب عطف عليه. (١) .

وذهب ابن عطية و أبو حيان إلىٰ أن قراءة النون علىٰ أنه إخبار من الله تعالىٰ عن نفسه ، أو تكون للملائكة . (٢) .

ثانيا من قرأ سيكتب ....ويقول

ومن قرأ (سيُكتَب ....ويقول) بالياء و بناء الأول لما لم يسم فاعله، وبناء (يقول) للفاعل ؛ لأن معنىٰ (سيُكتَب) (سيَكتُب) ، كما أنّ معنىٰ: (كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ (٣) (كَتب) ، و يكون حينئذ (ما) وما عطف عليها في موضع رفع. (٤) .

وأجراه علىٰ لفظ الغيبة لتقدم ذكر الله ـ ﷻ ـ في قوله : (لقد سمع الله) (٥) .

وذكر مكي بن أبي طالب وجه بناء (سيكتب) للمفعول ، وبناء (يقول) للفاعل أنه إنما جعل (يقول) مبنيا للفاعل ولم يجره علىٰ (سيكتب) بالبناء للمفعول لأن (سيكتب) متعد إلىٰ المفعول ، ووجد إلىٰ ذلك سبيلا ، فآثره

(١) حجة ابن خالويه ١١٧ وحجة الفارسي ٣/ ١١٥ ،١١٦.
(٢) المحرر الوجيز ١/ ٥٤٨ والبحر ٣/ ١٣٦والكشف ١/ ٣٧٠ وحجة أبي زرعة ١٨٤.
(٣) الحج من الآية ٤.
(٤) حجة ابن خالويه ١١٧ وحجة الفارسي ٣/ ١١٥و البحر ٣/ ١٣٦.
(٥) الكشف ١/ ٣٦٩.

بالبناء للمفعول ، بخلاف (يقول) ؛إذ ليس معه مفعول ، فلم يرده إليه إلا أن يضمر مصدرا يقوم مقام الفاعل ، وفيه تكلف وخروج عن الظاهر . (١) .

اختيار القراءة

واختار الطبري ومكي القراءة بالنون (سنكتب ....ونقول) ، ليرد الكلام علىٰ أوله ، ولأن الجماعة عليه . (٢) .

وظاهر قول أبي علي الفارسي اختيار قراءة النون .

قال الفارسي : (ويقوّي سنكتب قوله: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ) (٣) .

****

ومثله قوله تعالىٰ : (لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ) (ليبيننه للنَّاس وَلَا يكتمونه) (٤) .

---

(١) الكشف ١/ ٣٧٠ بتصرف يسير .

(٢) جامع البيان ٧/ ٤٤٥ والكشف ١/ ٣٧٠ .

(٣) المائدة من الآية ٤٥ .

(٤) من الآية ١٨٧ من سورة آل عمران .

قرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو ويعقوب برواية روح بالياء فيهما وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي و نافع بالتاء فيهما، وحفص عن عاصم بالتاء . يراجع السبعة ٢٢١ ، وجامع البيان ٧/ ٤٦٢ وإعراب النحاس ١/ ٤٢٥ وحجة الفارسي ٣/ ١١٦ ، ومعاني القراءات ١/ ٢٨٧ ، والكشف ١/ ٣٧١ والتيسير٩٣ ، والعنوان ٨٢ والبحر المحيط ٣/ ١٤٢ والدر المصون ٣/ ٥٢٣ وبلا نسبة في معاني الزجاج ١/ ٤٩٦ والكشاف ١/ ٦٧٣ والتبيان ١/ ٣١٨ .

توجيه القراءتين

أجمع النحويون والمفسرون علىٰ أن قراءة الياء لأنهم غيب ، ولأن المخبر عنه قبله غائب (ألذين أوتوا الكتاب) ، ولأن مابعده غائب (فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ) ، فجاء كله بلفظ الغيبة ، فحمل ما قبله عليه لينتظم الكلام علىٰ سنن واحد ويأتلف علىٰ طريقة واحدة في الغيبة . (١) .

أما من قرأ بالتاء فذهب إلىٰ أنه حكىٰ مخاطبتهم ، و تقديرُه: (وقلنا لهم) (٢)، كقوله تعالىٰ : (كقوله: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ﴾(٣)

ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ﴾ (٤) بالتاء والياء .

---

(١) كشف المشكل ١/ ٣٧١ ويراجع معاني الزجاج ١/ ٤٩٦ و إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٢٥ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٢٥ والكشاف ١/ ٦٧٣ .

(٢) معاني الأخفش ١/ ٢٤٠ و جامع البيان ٧/ ٤٦٢ وتفسير القرطبي ٤/ ٣٠٥ و الكشف والبيان ٣/ ٢٢٨ والكشاف ١/ ٦٧٣ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٥٥ والتبيان ١/ ٣١٨ .

(٣) الإسراء من الآية ٤ .

(٤) البقرة من الآية ٨٣ قرأها أبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر بالتاء وقرأها ابن كثير وحمزة والكسائي والحسن وابن محيصن والأعمش (لا يعبدون) بالياء السبعة ١٦٣ والكشف ١/ ٢٤٩ والنشر ٢/ ٢١٨.

و ذهب أبو علي إلىٰ أن حجّة من قرأ بالتاء قوله :(وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم)(١) ، وكذلك: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ (٢) (٣).

وعدَّ ابن عطية والسمين الحلبي قراءة التاء التفاتا من الغيبة إلىٰ الخطاب ؛ لتقدم (تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) (٤) . (٥) .

اختيار القراء

تستوي القراءتان عند الطبري ، إلا أن أحب القراءتين عنده (لَيُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ) ، بالياء جميعًا، استدلالا بقوله : (فنبذوه)، إذ كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب علىٰ سبيل قوله : (فنبذوه) حتىٰ يكون متَّسقًا كله علىٰ معنىٰ واحد ومثال واحد، ولو كان الأول بمعنىٰ الخطاب لكان (فنبذتموه وراء ظهوركم) أولىٰ، من أن (فنبذوه وراء ظهورهم) (٦) .

---

(١) آل عمران ٨١ .

(٢) البقرة ٨٣ .

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/ ١١٦ .

(٤) آل عمران ١٧٩ .

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٥٤٧ و الدر المصون ٣/ ٥٢٣ ويراجع ١/ ٤٥٨ .

(٦) جامع البيان ٧/ ٤٦٣ .

كما تستوي القراءتان عند مكي بن أبي طالب ، إلا أن قراءة التاء أحب إليه لما فيها من معنىٰ التأكيد ، لأن التاء للمواجهة ، فتقديره : فقال لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، ولأن أكثر القراء عليه (١) .

والقراءتان متساويتان عند ابن عطية (٢) .

****

(١) الكشف لمكي ١/ ٣٧١.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٥٥١ .

ض

المبحث الثالث : اختلاف الأبنية مع اختلاف الفاعل

(يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ) (تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ) .

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (١)

هذه الآية تضم أسئلة أجاب عنها المفسرون والنحويون ، و هي :

أولاً : من المخاطب بالآية ؟ .

ثانيا :ما معنىٰ (مثليهم) ؟ .

ثالثا : من الرائي ومن المرئي ؟ .

رابعا : هل الرؤية بصرية أو قلبية ؟ .

أولاً :المخاطب بالآية .

ذهب الفراء إلىٰ أن المخاطب بالآية اليهود ، علىٰ قراءة التاء ، والمسلمين واليهود علىٰ قراءة الياء .

(١) سورة آل عمران من الآية ١٣ . قرأها أبو جعفر يزيد بن القعقاع ونافع وأبان عن عاصم ويعقوب بالتاء والباقون بالياء يراجع السبعة ٢٠٢ ومعاني القراءات ١/ ٢٤٢ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٠٨ وحجة الفارسي ٣/ ١٧ وحجة أبي زرعة ١٥٤ والكشف ١/ ٣٣٦ والبحر ٢/ ٤١١ و بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٦٠ و حجة ابن خالويه ١٠٦ والتبيان ١/ ٢٤٣ .

قال الفراء : (ومن قرأ (ترونهم) ذهب إلىٰ اليهود لأنه خاطبهم، ومن قال (يَرَوْنَهُمْ) فعلىٰ ذلك ، كما قال: (حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم[1] . وإن شئت جعلت (يرونهم) للمسلمين دون اليهود) . [2] .

وذهب الطبري والراغب الأصفهاني إلىٰ أن المخاطب بالآية اليهود علىٰ قراءة التاء والياء ، والمعنىٰ : قد كان لكم أيها اليهود آيةٌ في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله، والأخرىٰ كافرةٌ، ترونَ المشركين مِثْلي المسلمين رأىَ العين. يريد بذلك عِظَتهم. [3] .

وذهب النحاس وأبو زرعة إلىٰ أن المخاطب بالآية اليهود علىٰ قراءة التاء ؛ لأن الكلام قبل ذلك جرىٰ بمخاطبة اليهود وهو قوله : (قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ، فإلحاق هذا أيضا بما تقدم أولىٰ [4] .

وذكر أبو علىٰ الفارسي ومكي بن ابي طالب أن الخطاب علىٰ قراءة التاء جرىٰ علىٰ الخطاب في (لكم) ، فيحسن أن يكون الخطاب للمسلمين، والهاء والميم للمشركين ، وقد كان يلزم من قرأ بالتاء أن يقرأ : (مثليكم) بالكاف، وذلك لا يجوز لمخالفة الخط، ولكن جرىٰ الكلام علىٰ الخروج من الخطاب

(١) يونس من الآية ٢٢ .

(٢) معاني الفراء ١/ ١٩٥.

(٣) جامع البيان ٦/ ٢٣٣ وتفسير الراغب الأصفهاني ٢/ ٤٤٤.

(٤) معاني القرآن للنحاس ١/ ٣٦٢ وحجة أبي زرعة ١٥٤.

إلىٰ الغيبة، كقوله تعالىٰ: (حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم) ، وقوله تعالىٰ : (وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ) ، فخاطب ثم قال: (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ) (١) ، فرجع إلىٰ الغيبة. فالهاء والميم في (مثليهم) يحتمل أن يكون للمشركين ، أي ترون أيها المسلمون المشركين مثلي ما هم عليه من العدد، وهو بعيد في المعنىٰ، لأن الله تعالىٰ لم يكثر المشركين في أعين المسلمين ، بل أعلمنا أنه قللهم في أعين المؤمنين ، فيكون المعنىٰ : ترون أيها المؤمنون المشركين مثليكم في العدد ، وقد كانوا ثلاثة أمثالهم ، فقلل الله المشركين في أعين المسلمين ، فأراهم إياهم مثلي عدتهم ؛ لتقوىٰ أنفسهم ويقع التجاسر، وقد كانوا أعلموا أن المائة منهم تغلب المئتين من الكفار، وقلل المسلمين في أعين المشركين ليجترئوا عليهم فينفذ حكم الله فيهم ، ويحتمل أن يكون الضمير في (مثليهم) للمسلمين، أي ترون أيها المسلمون أنفسكم مثلي ما أنتم عليه من العدد، فعل الله ذلك بهم لتقوىٰ أنفسهم علىٰ لقاء المشركين ، والتأويل الأول أولىٰ، يدل عليه قوله تعالىٰ: (إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ)(٢) ، وقوله:" وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا) (٣) ، وروي عن

(١) الروم من الآية ٣٩.

(٢) الأنفال من الآية ٤٣ .

(٣) الأنفال من الآية ٤٤.

ابن مسعود أنه قال: قلت لرجل إلىٰ جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أظنهم مائة ، فلما أخذنا الأسارىٰ أخبرونا أنهم كانوا ألفا . (١) .

وذهب الزمخشري إلىٰ أن المخاطب بالآية مشركي قريش (٢) .

وأجاز ابن عطية أن يكون المخاطب في هذه الآية المؤمنين ، وأن يخاطب بها جميع الكفار ، وأن يخاطب بها يهود المدينة ، فمن رأىٰ أن الخطاب بها للمؤمنين فمعنىٰ الآية : تثبيت النفوس وتشجيعها، ومن رأىٰ أن الخطاب لجميع الكفار ومن رأىٰ أنه لليهود فالآية عنده داخلة فيما أمر محمدا ـ صلىٰ الله عليه و سلم ـ أن يقوله لهم احتجاجا عليهم وتبيينا لصورة الوعيد المتقدم في أنهم سيغلبون، فمن قرأ بالياء من تحت، فالمعنىٰ :يرىٰ الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلي جمع المؤمنين، ومن قرأ بالتاء فالمعنىٰ : لو حضرتم أو إن كنتم حضرتم ، وساغت العبارة لوضوح الأمر في نفسه ووقوع اليقين به لكل إنسان في ذلك العصر . (٣) .

ثانيا معنىٰ (مثليهم) :

ذهب الفراء والطبري إلىٰ أن معنىٰ (مثليهم) يريد ثلاثة أمثالهم ، قلت : كما تقول وعندك عَبْد: أحتاج إلىٰ مثله ، فأنت محتاج إليه وإلىٰ مثله، وتقول: أحتاج إلىٰ مثلىٰ عبدي، فأنت إلىٰ ثلاثة محتاج. (٤) .

(١) حجة الفارسي ٣/ ٢٠ والكشف لمكي ١/ ٣٣٦ .

(٢) الكشاف ١/ ٥٣١ .

(٣) المحرر الوجيز ١/ ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٤) معاني الفراء ١/ ١٩٤ وجامع البيان ٦/ ٢٣٨ ،٢٣٩.

ورده الزجاج والراغب الأصفهاني ؛ لأن مثل الشيءِ ما هو مساو له، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين، فإذا جهلنا المثل فقد بطل التميز، وإنما قال هذا لأن أصحاب النبي -ﷺ- كانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً ، وكان المشركون تسعَمائةٍ وخمسين رجلاً ، فالذي قال يبطل في اللفظ ويبطل في معنىٰ الدلالة علىٰ الآية التي تُعْجِز؛ لأنهم إذا رأوهم علىٰ هَيْئَتِهِمْ فليس هذا آيَة، فإنْ زَعم أن الآيةَ في هذا غلبةُ القليل علىٰ الكثير فقد أبْطَلَ أيضـًا ؛ لأن القليل يغلب الكثيرَ. موجود ذلك أبداً. فهذا الذي قال يبطل في اللغة وَفِي المَعْنَىٰ وإنَّما الآيةُ في هذا أنَّ المشركين كانوا تسعمائة وخمسين وكان المسلمون ثلاثَمائةٍ وأربعةَ عشرَ فأرىٰ الله - جلَّ وعزَّ - المشركين أنَّ المسلمين أقَل من ثلاثمائة والله قد أعلم المسلمين أن المائة تغلب المائتين فأراهم المشركين علىٰ قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم لِيُقَوِّيَ قلوبهم ، وأرىٰ المشركين المسلمين أقل - من عدد المسلمين، ثم ألقَىٰ مع ذلك في قلوبهم الرعب فجعلوا يرون عدداً قليلاً مع رعب شديد حتىٰ غُلِبُوا.

والدليل علىٰ صحة هذا القول قول الله ـ ﷻ ـ : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾.

فهذا هو الذي فيه آية أن يُرَىٰ الشيء بخلاف صورته - والله أعلم -) (١) .

(١) معاني الزجاج ١/ ٣٨١، ٣٨٢ وتفسير الراغب ٢/ ٤٤٥

وزاد الراغب الأصفهاني أنه لو كان كما يقول لقال: يرونهم ومثليهم ، أو أنهم يرونهم مثليهم في الجلادة، أي يرىٰ كل واحد منهم أنه أجلد من الآخر بمثلين، وذلك كقولك: رأيت فلانًا مثلي فلان، فتكون المماثلة راجعة إلىٰ الجلادة، لا إلىٰ العدد، وعلىٰ هذا قد حمل قوله ﷻ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ ، أي في القوة والعُدد، لا في الكثرة والعَدد. (١) .

وذهب الزمخشري إلىٰ أن المعنىٰ : يرىٰ المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبًا من ألفين ، أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفًا وعشرين ، أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم ، وكان ذلك مدداً لهم من الله كما أمدّهم بالملائكة ، والدليل عليه قراءة نافع: ترونهم، بالتاء ، أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة، أو مثلي أنفسهم. فإن قلت: فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ . قلت: قللوا أوّلا في أعينهم حتىٰ اجترئوا عليهم ، فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتىٰ غلبوا، فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ، ونظيره من المحمول علىٰ اختلاف الأحوال قوله تعالىٰ : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ (٢) .، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ (٣) .، وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرىٰ في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية ، وقيل يرىٰ المسلمون

(١) تفسير الراغب ٢/ ٤٤٧

(٢) الرحمن الآية ٣٩ .

(٣) الصافات الآية ٢٤ .

المشركين مثلي المسلمين علىٰ ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ (١) . بعد كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ (٢) ، ولذلك وصف ضعفهم بالقلة ؛ لأنه قليل بالإضافة إلىٰ عشرة الأضعاف ، وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم. وقراءة نافع لا تساعد عليه. (٣) .

ثالثا : من الرائي ومن المرئي ؟

حكىٰ الطبري عن بعضهم أن المسلمين رأوا المشركين مثلي عددهم قلَّلها الله ـ ﷻ ـ في أعينها حتىٰ رأتها مثلي عدد أنفسها، ثم قللها في حال أخرىٰ ، فرأتها مثل عَدَد أنفسها (٤) .

وقيل إن المسلمين رَأوهم علىٰ ما كانوا به من عددهم لم يقلَّلوا في أعينهم، ولكن الله أيدهم بنصره .

---

(١) الأنفال من الآية ٦٦ .

(٢) الأنفال من الآية ٦٥ .

(٣) الكشاف للزمخشري ١/ ٥٣١، ٥٣٢ .

(٤) جامع البيان ٦/ ٢٣٤ بتصرف وأشار ابن عطية إلىٰ هذا التوجيه علىٰ قراءة الياء ، أما علىٰ قراءة التاء فالمعنىٰ : لو حضرتم أو إن كنتم حضرتم وساغت العبارة لوضوح الأمر في نفسه ووقوع اليقين به لكل إنسان في ذلك العصر. المحرر الوجيز ١/ ٤٠٧ والبحر ٢/ ٤١٢.

وهذا خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر (١) .

وقيل الرائي اليهود والمرئي المسلمين والمشركين ، أرىٰ اللهُ المسلمين عددَ المشركين قليلا آية للمسلمين ، غيرَ أنه رجع من المخاطبة إلىٰ الخبر عن الغائب، لأنه أمرٌ من الله جل ثناؤه لنبيه ـ ﷺ ـ أن يقول ذلك لهم، فحسن أن يخاطب مرة، ويخبرَ عنهم علىٰ وجه الخبر مرّة أخرىٰ، كما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ (٢) .

وقال آخرون: بل معنىٰ ذلك: أنّ الله أرىٰ الفئةَ الكافرةَ عددَ الفئة المسلمة مثلَيْ عددهم.

وهذا أيضًا خلاف ما دلّ عليه ظاهر التنزيل. لأن الله جل ثناؤه قال في كتابه: ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ (٣) ، فأخبر أن كلا من الطائفتين قلل عددها في مرأىٰ الأخرىٰ. (٤) .

وذهب النحاس وأبو زرعة إلىٰ أن الرؤية للمسلمين ، علىٰ قراءة الياء ، يرون المشركين مثليهم . (٥) .

---

(١) جامع البيان ٦/ ٢٣٥ بتصرف .

(٢) جامع البيان ٦/ ٢٣٨ .

(٣) الأنفال من الآية ٤٤ .

(٤) جامع البيان ٦/ ٢٣٩ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ١/ ٣٦٣ وحجة أبي زرعة ١٥٤ .

وذهب ابن خالويه إلىٰ أن الرائي الكفار ، والضمير المنصوب في (ترونهم) للمسلمين . (١) .

وحكىٰ القرطبي عن الجمهور أن الفاعل بـ (ترون) هم المؤمنون، والضمير المتصل هو للكفار. (٢) .

وذهب الفارسي ومكي بن أبي طالب إلىٰ أن الرائي علىٰ قراءة الياء الفئة المقاتلة في سبيل الله، والمرئية الفئة الكافرة، أي ترىٰ الفئة المقاتلة في سبيل الله الفئة الكافرة مثلي الفئة المؤمنة، وقد كانت الفئة الكافرة ثلاثة أمثال المؤمنة فقللهم الله في أعينهم علىٰ ما تقدم .

ووجهها أن قبله لفظ الغيبة (وأخرىٰ كافرة) ، فحمل آخر الكلام علىٰ أوله ، والضمير في (مثليهم) للفئة المقاتلة في سبيل الله . (٣) .

وذهب الرازي إلىٰ أن الأصح في تفسير هذه الآية أن الرائيين هم المشركون والمرئيين هم المؤمنون، والمعنىٰ أن المشركين كانوا يرون المؤمنين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين، أو مثلي عدد المسلمين وهو ستمائة، وذلك معجز (٤)

ويدل عليه وجوه الأول: أن تعلق الفعل بالفاعل أشد من تعلقه بالمفعول، فجعل أقرب المذكورين السابقين فاعلا، وأبعدهما مفعولا أولىٰ من العكس،

---

(١) حجة ابن خالويه ١٠٦.

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٢٥.

(٣) حجة الفارسي ٣/ ١٩ والكشف لمكي ١/ ٣٣٧ .

(٤) مفاتيح الغيب ٧/ ١٥٨ ، ١٥٩ بتصرف .

وأقرب المذكورين هو قوله : (وأخرىٰ كافرة) ، والثاني: أن مقدمة الآية وهو قوله : (**قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ**) خطاب مع الكفار ، فقراءة نافع بالتاء يكون خطابا مع أولئك الكفار والمعنىٰ : ترون يا مشركي قريش المسلمين مثليهم، فهذه القراءة لا تساعد إلا علىٰ كون الرائي مشركا ، الثالث: أن الله تعالىٰ جعل هذه الحالة آية الكفار، حيث قال: (**قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا**) فوجب أن تكون هذه الحالة مما يشاهدها الكافر حتىٰ تكون حجة عليه، أما لو كانت هذه الحالة حاصلة للمؤمن لم يصح جعلها حجة الكافر والله أعلم. (١) .

كما ذكر احتمال أن يكون الرائون هم المسلمون، وأنهم رأوا المشركين علىٰ الضعف من عدد المشركين ، فهذا قول لا يمكن أن يقول به أحد، لأن هذا يوجب نصرة المشركين بإيقاع الخوف في قلوب المؤمنين، والآية تنافي ذلك، وفي الآية احتمال خامس، وهو أنا أول الآية قد بينا أن الخطاب مع اليهود، فيكون المراد ترون أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة والشوكة. (٢) .

رابعا : نوع الرؤية .

ذكر الراغب الأصفهاني أن الرؤية هنا رؤية عين ،وتتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد بدلالة (رأي العين). (٣) .

---

(١) مفاتيح الغيب ٧/ ١٥٨ ، ١٥٩.

(٢) مفاتيح الغيب ٧/ ١٥٨ .

(٣) تفسير الراغب ٢/ ٤٤٧ والقرطبي ٤/ ٢٥.

وذهب الفخر الرازي إلىٰ أن المقصود بالرؤية الظن والحسبان ؛ لأن من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل أنهم في غاية الكثرة، وإما أن نقول : إن الله تعالىٰ أنزل الملائكة حتىٰ صار عسكر المسلمين كثيرين ، والجواب الأول أقرب؛ لأن الكلام مقتصر علىٰ الفئتين ولم يدخل فيهما قصة الملائكة. (١) .

ونفىٰ العكبري كون الرؤية قلبية علىٰ القراءتين ؛ لوجهين: أحدهما: قوله: رأي العين ، والثاني: أن رؤية القلب علم، ومحال أن يعلم الشيء شيئين. (٢) .

اختيار القراءة .

اختار الطبري قراءة الياء ، أي يراهم المسلمون مثليهم – يعني: مثلي عدد المسلمين، لتقليل الله إياهم في أعينهم في حال، ثم قللهم في أعينهم عن التقليل الأول، فحزروهم مثل عدد المسلمين، ثم تقليلا ثالثًا، فحزروهم أقل من عدد المسلمين ، إعلامًا منه لهم أنه مؤيد المؤمنين بنصره، لئلا يغتروا بعددهم وبأسهم، وليحذروا منه أن يُحلّ بهم من العقوبة علىٰ أيدي المؤمنين، مثلَ الذي أحلّ بأهل الشرك به من قريش علىٰ أيديهم ببدر. (٣) .

واختار ابن خالويه القراءة بالتاء (٤) .

****

(١) مفاتيح الغيب ٧/ ١٥٧.

(٢) التبيان ١/ ٢٤٤ .

(٣) جامع البيان ٦/ ٢٤٠، ٢٤١ بتصرف يسير .

(٤) حجة ابن خالويه ١٠٦.

(**يغشى**) و (**تغشى**)

(ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ) (١).

التحليل اللغوي :

ذكر القرطبي أن (الأمنة والأمن) سواء. وقيل: الأمنة إنما تكون مع أسباب الخوف، والأمن مع عدمه. (٢).

وقال ابْنُ سِيدَهْ: الأَمْنُ نَقِيضُ الْخَوْفِ، أَمِن فلانٌ : يأْمَنُ أَمْنـًا وأَمَنـًا؛ حَكَىٰ هَذِهِ الزَّجَّاجُ ، وأَمَنةً وأَمانـًا فَهُوَ أَمِنٌ. والأَمَنةُ: الأَمْنُ؛ وَمِنْهُ: أَمَنَةً نُعاسـًا (٣).

والنُّعاسُ: النَّوْمُ، وَقِيلَ: هُوَ مُقَارَبَتُهُ، وَقِيلَ: ثَقْلَتُه نَعَسَ يَنْعُس نُعاسـًا (٤).

توجيه القراءتين

---

(١) آل عمران الآية ١٥٤ قرأها ابن عامر وابن كثير وعاصم وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع ويعقوب (يغشىٰ) بالياء حملا علىٰ لفظ (النعاس) وقرأها حمزة والكسائي وخلف (تغشىٰ) حملا علىٰ لفظ (أمنة) جامع البيان ٧/ ٣١٥ و السبعة ٢١٧ وإعراب القراءات ١/ ١٢٠ ، ١٢١ وحجة الفارسي ٣/ ٨٨ ومعاني الزجاج ١/ ٤٧٩ والمبسوط ١٧٠ وحجة القراءات ١٧٦ والكشف ١/ ٣٦٠ والعنوان ٨١ والمحرر ١/ ٥٢٧ والبحر ٣/ ٩٣ والدر المصون ٣/ ٤٤٥ وبلا نسبة في معاني الفراء ١/ ٢٤٠ وحجة ابن خالويه ١١٤ ،٣٥٨ والكشاف ١/ ٦٤٣ والتبيان ١/ ٣٠٣.

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٤٤١ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ١٠ / ٤٩٢ واللسان ن ع س .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ١/ ٤٩٤ واللسان أ م ن .

وجه أصحاب القراءات والمفسرون قراءة من قرأ (تغشىٰ) بالتاء علىٰ ردها علىٰ (أمنة) ؛ لأنها مؤنثة .(١) .

أما من قرأ بالياء فإنه رده علىٰ النعاس ؛ لأن النعاس هو الذي يغشىٰ الطائفة من المؤمنين دون الأمَنة، فذكَّره بتذكير (النعاس).

وجه الفراء قراءة التاء علىٰ مراعاة المعنىٰ ؛ لأنها مردودة علىٰ (أمنة) ومثله قراءة قوله : (كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ) (٢) ، وتغلي (٣) ، إذا كانت (تغلي) فهي الشجرة، وإذا كانت (يغلي) فهو للمهل. (٤) .

وذهب الزجاج والطبري إلىٰ أن الأمنة تَؤدي معنىٰ النعاس ، وإن قرئَ : (يغشىٰ)جْاز ؛لأن (الأمنة)في هذا الموضع هي النعاس، والنعاس هو الأمنة.

(١) معاني الفراء ١/ ٢٤٠ وجامع البيان ٧/ ٣١٦ ومعاني الزجاج ١/ ٤٧٩ وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٤١٣ والحجة لابن خالويه ١١٤ ومعاني الأزهري ١/ ٢٧٦ وحجة الفارسي ٣/ ٨٩ والقرطبي٤/ ٢٤٢ والكشف ١/ ٣٦٠ ومفاتيح الغيب ٩/ ٣٩٤ والتبيان ١/ ٣٠٣ .

(٢) الدخان من الآية ٤٥.

(٣) قرأها ابن كثير وحفص عن عاصم (يغلي) بالياء ، وردها النحاس لمخالفتها جماعة الحجة من أهل الأمصار ؛ لأن المهل لا يغلي في البطون ، إنما المهل يغلي في القدور ، وقرأها عاصم في رواية أبىٰ بكر وأبو عمرو وابن عامر ونافع وحمزة والكسائي (تغلىٰ) بالتاء السبعة ٥٩٢وإعراب النحاس ٤/ ١٣٤وإعراب القراءات السبع ٢/ ٣٠٩.

(٤) معاني الفراء١/ ٢٤٠ ويراجع ٣/ ٤٣.

فسواء ذلك، وبأيهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ الحقَّ في قراءته .وله نظائر مثل قوله تعالىٰ : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ) (١) .(٢) .

وذهب النحاس إلىٰ أن (النعاس) بدل من (الأمنة) (٣) .

و ذكر ابن خالويه أنواع مراعاة المعنىٰ في كتاب الله تعالىٰ فقال : (وكل ما في كتاب الله مما قد رد آخره علىٰ أوله يجري علىٰ وجوه: أولها: أنه يرد علىٰ أقرب اللفظين، كقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ (٤) ، والثاني: أن يرد إلىٰ الأهم عندهم، كقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ (٥) ، والثالث: أن يرد إلىٰ الأجلِّ عندهم، كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾(٦) ، والرابع: أن يجتزأ بالإخبار عن أحدهما، ويضمر للآخر مثل ما أظهر كقوله: أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ (٧) . (٨) .

(١) مريم من الآية ٢٥ .

(٢) معاني الزجاج ١/ ٤٧٩ وجامع البيان ٧/ ٣١٦ ومفاتيح الغيب ٩/ ٣٩٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤١٣ .

(٤) التوبة من الآية ٣٤ .

(٥) الجمعة من الآية ١١.

(٦) التوبة من الآية ٦٢ .

(٧) التوبة من الآية ٣ .

(٨) الحجة لابن خالويه ١١٤.

وذهب الزمخشري وابن عطية والرازي إلىٰ أن (نُعاسًا) بدل من (أمنة) ، ويجوز أن يكون هو المفعول، وأمنة حالا منه مقدمة عليه، كقولك: رأيت راكبا رجلا، أو مفعولا له بمعنىٰ نعستم أمنة. ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين، بمعنىٰ: ذوىٰ أمنة، أو علىٰ أنه جمع آمن، كـ (بار وبررة) (١) .

وذهب العكبري إلىٰ أن (نعاسا) صفة لـ (لأمنة) (٢) .

وتعقب أبو حيان قول الزمخشري وغيره بقوله : (ونقل المفسرون ما أعربوا (أمنة) مفعولا بـ (أنزل) ، و(نعاسا) بدل منه، وهو بدل اشتمال. لأن كلا منهما قد يتصور اشتماله علىٰ الآخر، أو يتصور اشتمال العامل عليهما علىٰ الخلاف في ذلك. أو عطف بيان، ولا يجوز علىٰ رأي الجمهور من البصريين ؛ لأن من شرط عطف البيان عندهم أن يكون في المعارف. أو مفعول من أجله ، وهو ضعيف ؛ لاختلال أحد الشروط وهو: اتحاد الفاعل ، ففاعل الإنزال هو الله تعالىٰ، وفاعل النعاس هو المنزل عليهم، وهذا الشرط هو علىٰ مذهب الجمهور من النحويين. (٣) .

كما تعقب ابن عطية بقوله : (لما أعرب (نعاسا) بدلا من أمنة، كان القياس أن يحدث عن البدل لا عن المبدل منه، فحدَّث هنا عن المبدل منه، فإذا قلت: إن

---

(١) الكشاف ١/ ٦٤٣ و المحرر الوجيز ١/ ٥٢٧ و مفاتيح الغيب ٩/ ٣٩٤ فأسند الفعل إلىٰ ضمير المبدل منه .

(٢) التبيان ١/ ٣٠٣.

(٣) البحر ٣/ ٩٣.

هندا حسنها فاتن، كان الخبر عن حسنها، هذا هو المشهور في كلام العرب. وأجاز بعض أصحابنا أن يخبر عن المبدل منه كما أجاز ذلك ابن عطية في الآية، واستدل علىٰ ذلك بقوله:

إنَّ السيوفَ غُدُوَّها ورَواحَها تَرَكَتْ هوازنَ مثلَ قَرْن الأعْضَبِ

وبقول الآخر:

فكأنه لَهِقُ السَّراةِ كأنه ما حاجِبَيْهِ مُعَيَّنٌ بِسَوادِ (٢) .

فقال: تركت، ولم يقل تركا. وقال : (معين) ولم يقل : معينان، فأعاد الضمير علىٰ المبدل منه وهو (السيوف) ، والضمير في (كأنه) ولم يعد علىٰ البدل وهي (غدوها ورواحها) و (حاجبيه) ، و (ما) زائدة بين المبدل منه والبدل. ولا حجة فيما استدل به لاحتمال أن يكون انتصاب (غدوها ورواحها) علىٰ الظرف لا علىٰ البدل، ولاحتمال أن يكون (معين) خبرا عن (حاجبيه) ؛ لأنه يجوز أن يخبر عن الاثنين اللذين لا يستغني أحدهما عن الآخر، كاليدين والرجلين والعينين والحاجبين إخبار الواحد.) (٣) .

---

(١) البيت من الكامل وهو للأخطل في شرح ديوانه ص ٣٢٩ ولسان العرب (ع ض ب) وخزانة الأدب ٥/ ١٩٩، ٢٠٠ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٣٥٤ ،شرح الأشموني ٣/ ١٣.

(٢) البيت من الكامل وهو للأعشىٰ في الدرر اللوامع ٢/ ٥٢٩ وليس في ديوانه ، و بلا نسبة في الكتاب ١/ ١٦١، وشرح المفصل ٣/ ٦٧، ولسان العرب (ع ي ن) وهمع الهوامع ٣/ ٣٤٨ ، وخزانة الأدب ٥/ ١٩٧، ١٩٨.

(٣) البحر ٣/ ٩٣.

كما تعقب رأي العكبري بقوله : (وقرأ حمزة والكسائي: (تغشىٰ) بالتاء حملا علىٰ لفظ (أمنة) ، هكذا قالوا. وقالوا: الجملة في موضع الصفة، وهذا ليس بواضح ؛ لأن النحويين نصوا علىٰ أن الصفة مقدمة علىٰ البدل وعلىٰ عطف البيان إذا اجتمعت ، فمن أعرب (نعاسا) بدلا أو عطف بيان لا يتم له ذلك ؛ لأنه مخالف لهذه القاعدة، ومن أعربه مفعولا من أجله ففيه أيضا الفصل بين النعت والمنعوت بهذه الفضلة. وفي جواز ذلك نظر مع ما نبهنا عليه من فوات الشرط وهو: اتحاد الفاعل. فإن جعلت (تغشىٰ) جملة مستأنفة وكأنها جواب لسؤال من سأل: ما حكم هذه الأمنة؟ فأخبر تعالىٰ (تغشىٰ طائفة منكم)، جاز ذلك.(١)

ورد السمين الحلبي اعتراض أبي حيان علىٰ الزمخشري بأنه قدر له عاملا يتحد فاعله مع فاعل (أمنة) ، أي: (نعستم أمنة) ، فكأنه استشعر السؤال، فلذلك قدر عاملا، علىٰ أنه قد يقال: إن الأمنة من الله تعالىٰ، بمعنىٰ أنه أوقعها بهم، كأنه قيل: أنزل عليكم النعاس ليؤمنكم به، و (أمنة) كما تكون مصدرا لمن وقع به الأمن تكون مصدرا لمن أوقعه . (٢) .

(١) البحر ٣/ ٩٣ وحكىٰ السمين الحلبي ما ذكره أبو حيان واعترض به علىٰ النحويين واختياره استئناف الجملة يراجع الدر المصون ٣/ ٤٤٣ ــ ٤٤٦ .

(٢) الدر المصون ٣/ ٤٤٤ .

اختيار القراءة

والحق أنهما قراءتان متوترتان لا يمكن رد إحداهما ، وما أحسن قول الطبري : والصواب من القول في ذلك عندي، أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، غير مختلفتين في معنىٰ ولا غيره ؛ لأن (الأمنة) في هذا الموضع هي النعاس، والنعاس هو الأمنة. فسواء ذلك ، وبأيهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ الحقَّ في قراءته. وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ ، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ تُمْنَىٰ﴾ (١)، ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ﴾(٢) .

وإن كانت القراءة بالياء أولىٰ ؛ لأن النّعاس هو الغاشي، ولأنّ (يغشىٰ) أقرب إلىٰ النعاس، فإسناد الفعل إليه أولىٰ.ومنه قوله تعالىٰ : (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) (٣)، كما أنّه يقال: غشيني النعاس، وغلب عليّ النعاس، ولا يقال : غشيتني الأمنة . والله أعلم .

****

(١) القيامة: ٣٧ قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائىٰ (من منىٰ تمنىٰ بالتاء) وقرأ حفص عن عاصم {يمنىٰ} بالياء وكذلك المفضل ، وقرأ ابن عامر (يمنىٰ) بالياء وروىٰ علىٰ بن نصر وعبد الوارث واليزيدىٰ والنضر بن شميل عن هارون عن أبىٰ عمرو وعبيد عن هارون عن أبىٰ عمرو (تمنىٰ) بالتاء وروىٰ عنه أبو زيد بالتاء والياء السبعة ٦٦٢وحجة ابن خالويه ٣٥٨ والكشف ٢/ ٣٥١ والإتحاف ٥٦٤ .

(٢) مريم من الآية ٢٥ .

(٣) جامع البيان ٧/ ٣١٦.

(**يَغْلَ**) (**يُغَلَّ**)

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١)

التحليل اللغوي

جاء في إصلاح المنطق : (ويقال: قد أَغَلَّ الجازر والسالخ يَغِلُّ إِغْلَالاً : إذا ترك في الإهاب من اللحم شيئاً وقد أَغَلَّ يُغِلُّ إِغْلَالاً، إذا خاناً قال النمر بن تولب:

جزى الله عنا جَمْرَةَ ابنة نوفل . جزاء مُغِلٍّ بالأمانة كاذبِ (٢)

---

(١) آل عمران من الآية ١٦١ قرأها ابن كثير وعاصم وأبو عمرو ويعقوب في رواية روح وزيد (أن يَغُل) بفتح الياء وضم الغين ، وقرأها ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي ونافع ويعقوب في رواية رويس وخلف (ان يُغَل) بالبناء للمفعول يراجع جامع البيان ٧/ ٣٤٨ والسبعة ٢١٨ ومعاني الأزهري ١/ ٢٧٩ وحجة الفارسي ٣/ ٩٤ والمبسوط ١٧٠ وحجة القراءات ١٧٩ ، ١٨٠ والكشف ١/ ٣٦٣ و والتيسير ٩١والعنوان ٨١ والمحرر ١/ ٥٣٥ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤١٢ والبحر ٣/ ١٠٦ والدر المصون ٣/ ٤٦٥ وبلا نسبة في معاني الفراء ١/ ٢٤٦ ومعاني الزجاج ١/ ٤٨٣ وحجة ابن خالويه١١٥والقرطبي ٤/ ٢٥٥ والكشاف ١/ ٦٥٠ والتبيان ١/ ٣٠٦ .

(٢) البيت من الطويل وهو للنمر بن تولب العكلي في ديوانه ٤١ و إصلاح المنطق لابن السكيت ١٩٢، ويراجع الصحاح للجوهري (غ ل ل) وبلا نسبة في تاج العروس (غ ل ل)

وقال آخر:

حـدثت نفسـك بالوفـاء ولـم للغدر خائنة مُغِلَّ الإصبعِ (١)

وأما في المَغْنَمِ فلم نسمع فيه إلا غَلَّ يَغُلُّ غُلُولاً وقرئ في كتاب الله ﷻ:

(**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ**) ،و (يُغَلَّ) ، فمعنىٰ يَغلُّ: يخون ، ومعنىٰ يُغَلُّ: يُخَوَّن) (٢)

توجيه القراءتين

من قرأ : (**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ**) بفتح الياء وضم الغين بالبناء للفاعل من (غلَّ) (يَغُلُّ) غلولا ، ومعناه : أنه لا يَصِحُّ أن يقع من النبي غُلول ؛ لتنافِيها ـ وهي كبيرة ـ مع النبوة ، فلا يجوزُ أن يُتَوَهَّمَ ذلك فيه البتة ، فنفىٰ عنه ـ ﷺ ـ الغلول ، وإن كان قد صح وقوعه من بعض أصحابه .

ومن قرأها (يُغَلَّ) بالبناء للمفعول فمعناها : (أن يخان) ، أو أن يُسَرَّق ، أو يخوَّن ، فمعناه النفي عن أصحاب النبي ـ ﷺ ـ أن يخونوه في المغانم ، وفيه معنىٰ النهي عن ذلك .

---

(١) البيت من الكامل، وهو للكلابي في الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١/ ٢٨١ ولسان العرب (خ و ن)؛ وتاج العروس (ص ب ع)، (خ و ن) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة لابن دريد (ب ص ع) ١/ ٣٤٧ ولسان العرب (ص ب ع)، (غ ل ل)، وتهذيب اللغة (ص ب ع) وإصلاح المنطق ص ١٩٢؛ وتاج العروس (غ ل ل).

(٢) إصلاح المنطق ١٩٢ ويراجع الصحاح للجوهري (غ ل ل) .

وذهب الفراء إلىٰ أنه من (أغلَّ) (١) ، أو (غلَل) (٢)، مثل : (كذّب) و (أكذب) في قراءة نافع والكسائي : (: فَإِنَّهُمْ لا يكذّبونك – ويُكَذِّبُونَكَ (٣) . قال الفراء : (وقوله: وَما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ... يقرأ بعض أهل المدينة : (أن يُغَل) يريدون : أن يخان ، وقرأه أصحاب عَبْد الله كذلك : أن يُغَل ، يريدون : أن يسرق أو يخون ، وذلك جائز ، وإن لم يقل: يغلل ، فيكون مثل قوله : (فَإِنَّهُمْ لا يكذّبونك – ويُكَذِّبُونَكَ) ، وقرأ ابن عَبَّاس وأبو عَبْد الرَّحْمَن السلمي (أن يغل) ، وذلك أنهم ظنوا يوم أحد أن لن تقسم لهم الغنائم كما فعل يوم بدر ، ومعناه: أن يتهم ويقال : قد غل) .(٤) .

وذهب مكي بن أبي طالب والراغب الأصفهاني وابن عطية إلىٰ أنه نفي في معنىٰ النهي ، فالآية في معنىٰ نهي الناس عن الغلول في المغانم والتوعد عليه،

---

(١) (أغل) من قولهم : أَغْلَلْتُ الجلد إذا سلخته فأبقيت فيه شيئًا من الشحم، وقد غل الرجل يَغُلُّ إذا خان لأنه أخذ شيئًا في خفاء، وقد أَغَلَّ يُغِلُّ إِغْلَالاً، إذا خان . الصحاح غ ل ل .

(٢) يريد أن (أغل وغلل) فىٰ تواردهما علىٰ معنىٰ النسبة إلىٰ الغلول ، مثل : كذب وأكذب فىٰ التوارد علىٰ معنىٰ النسبة إلىٰ الكذب كما جاءت القراءة بهما فىٰ الآية.

(٣) الأنعام من الآية ٣٣ قرأها نافع والكسائي (لا يُكذِبونك) بالتخفيف من (أكذب) السبعة ٢٥٧ وحجة الفارسي ٣/ ٣٠٢ والنشر ٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٤) معاني الفراء ١/ ٢٤٦ ومجاز القرآن ١/ ١٠٧ ومعاني الأخفش ١/ ٢٣٩ ومعاني الزجاج ١/ ٤٨٤ .

وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا مع الأمراء لشنعة الحال مع النبي ـ ﷺ ـ ؛ لأن المعاصي تعظم مع حضرته لتعين توقيره (١) .

وذهب القرطبي والزمخشري إلىٰ أن معنىٰ (يُغَلَّ) يحتمل معنيين: أحدهما يخان أي يؤخذ من غنيمته، والآخر يخون أن ينسب إلىٰ الغلول من (أغل) إذا وجده غالا ، كقولك: أبخلته وأفحمته ، فهذه القراءة علىٰ هذا التأويل ترجع إلىٰ معنىٰ (يغل) بفتح الياء وضم الغين ؛ لأن معناه : وما صح له أن يوجد غالا، ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا. (٢)

اختيار القراء

تستوي القراءتان عند الفراء و الأخفش ؛لأنَّ المعنىٰ "أَنْ يَخُون" أوْ "يُخانَ"(٣).

واختار الطبري (٤) والفارسي قراءة ((يَغُلَّ) بالبناء للفاعل ، لأنَّ الفعلَ الواردَ بعدُ (ما كان لكذا أن يفعل) أكثرُ ما يَجِيءُ منسوبـًا إلىٰ الفاعل ، نحو : (مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ) (٥) ، (مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ

(١) الكشف ١/ ٣٦٣ وتفسير الراغب الأصفهاني ٣/ ٩٥٨ والمحرر الوجيز ١/ ٥٣٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٢٥٥ ، ٢٥٦ و الكشاف ١/ ٦٥٠بتصرف والتبيان ١/ ٣٠٦ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٤٦معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٣٩ومعاني الزجاج ١/ ٤٨٣ .

(٤) تفسير القرطبي ٤/ ٢٥٥ ، ٢٥٦ و الكشاف ١/ ٦٥٠بتصرف والتبيان ١/ ٣٠٦ .

(٥) يوسف من الآية ٣٨ .

أَخَاهُ)(١)، (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ) (٢) ، (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ) (٣) ، (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ) (٤) ، **ولا** يكاد يجيء منه: ما كان زيد ليضرب، فيسند الفعل فيه إلىٰ المفعول به ، فكذلك :(**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ**) يسند الفعل فيه إلىٰ الفاعل. (٥).

وحكي السمين الحلبي عن بعض النحويين ترجيحها ـ أي قراءة البناء للفاعل ـ بقولِه: (**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ**) فهذا يُوافِقُ هذه القراءةَ، ولا حُجَّة في ذلك لأنها موافقةٌ للأخرىٰ. (٦).

والحق أن القراءتين بعد النظر إلىٰ سبب نزولها معناهما مراد ؛ فبعضها يوافق القراءة الأولىٰ. وبعضها يوافق القراءة الثانية.

---

(١) يوسف من الآية ٧٦.

(٢) آل عمران من الآية ١٤٥.

(٣) التوبة من الآية ١١٥ .

(٤) آل عمران من الآية ١٧٩.

(٥) حجة الفارسي ٣/ ٩٦.

(٦) الدر المصون ٣/ ٤٦٦.

أما ما يؤيد القراءة الأولىٰ فما رواه ابن عباس أنه فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما أصيب من المشركين، فقال أناس: لعل النبي -ﷺ- أخذها، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾.

ومنها : ما روي عن الضحاك قال: بعث رسول الله -ﷺ- طلائع، فغنم النبي -ﷺ- غنيمة وقسمها بين الناس ولم يقسم للطلائع شيئا، فلما قدمت الطلائع قالوا: قُسِّم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ ، قال سلمة: قرأها الضحاك (يغل) .

ومنها ما رواه الكلبي ومقاتل نزلت حين ترك الرماة المركز يوم أحد طلبا للغنيمة ، وقالوا: نخشىٰ أن يقول رسول الله ـ صلىٰ الله عيه وسلم ـ : من أخذ شيئا فهو له ، وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فقال النبي -ﷺ- ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية.

ومنها ما رواه ابن عباس: أن أشراف الناس استدعوا رسول الله -ﷺ- أن يخصصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية.

أما ما يؤيد قراءة البناء للمفعول فما رواه ابن عباس في رواية الضحاك: أن رسول الله -ﷺ- لما وقع في يده غنائم هوازن يوم حنين غلَّه رجل بمخيط، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية.

وقال قتادة: نزلت وقد غلَّ طوائف من أصحابه . (١).

(١) أسباب نزول القرآن للنيسابوري ١٣٧ .

المبحث الرابع : اختلاف الأبنية و جواز اتفاق واختلاف الدلالة

(ميِّت) و (ميْت) .

﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ (١)

التحليل

(الميّت) : بالتشديد هو الأصل، والواو التي هي عين انقلبت ياء لإدغام الياء فيها، و (ميْت) محذوف منه، والمحذوف العين أعلّت عينه بالحذف كما أعلّت بالقلب،وأصله : (ميوت) عند البصريين ، بزنة (فيعل) ،مثل : سيد وصيب ولين وهين ، أعلت فيها العين بقلبها ياء وأدغمت في الياء (٢) .

ومن خففه ذهب إلىٰ استثقال الياء والكسرة (٣) .

---

(١) آل عمران من الآية ٢٧ قرأها عاصم وأبو جعفر وحمزة والكسائي ونافع ويعقوب وخلف بالتشديد ، وقرأها ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر في رواية عن عاصم (ميتْ) بالتخفيف يراجع السبعة ٢٠٢ ومعاني القراءات ١/ ٢٤٧ وحجة الفارسي ٣/ ٢٥ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٠٩والمبسوط ١٤٠ ،١٤١ والكشف ١/ ٣٣٩ والتيسير ٨٧ وحجة أبي زرعة ١٥٩ والعنوان ٧٨ والمحرر الوجيز ١/ ٤١٨ ومفاتيح الغيب ٨/ ١٩١ والنشر ٢/ ٢٢٤ ،٢٢٥ وبلا نسبة في جامع البيان ٦/ ٣٠٩ ، ٣١٠ و حجة ابن خالويه ١٠٧ والتبيان ١/ ٢٥١ .

(٢) الكتاب ٤/ ٣٦٥.

(٣) المقتضب ١/ ٣٥٧ والحجة لابن خالويه ١٠٧ وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ٣١٠، ٣١١ .

قال سيبويه : (وأما قولهم: (ميتٌ وهينٌ ولينٌ)، فإنهم يحذفون العين كما يحذفون الهمزة من هائرٍ، لاستثقالهم الياءات) (١) .

وفرق الفراء بين ما كان مستعملا في الموت الحقيقي وما كان مستعملا في المجازي ، فالمثقل لما كان في الحقيقي ، والمخفف لما كان في المجازي .

قال الفراء : (الميت) : يخفف ويثقل، إذا كان ميتا، والغالب علىٰ الميتة إذا أنثتها التخفيف، وربما ثقلت، وذلك في البلدان الموات من الأرض، وفي الميتة التي حرم أكلها، فإذا قلت للمرأة: هذه ميتة؛ اعتدل التخفيف والتثقيل. (٢) .

وكلاهما بمعنىٰ واحد ، كالهيّن والهيْن، واللّيّن واللّيْن، والطّيّب والطّيْب، ومنه طيْبة، اسم المدينة، سمّاها به رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ ، مخفّفة من طيّبة، ويدلّك علىٰ أنه لا فرق بين الميّت والميت قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (٣) .

ومنه قول الشاعر:

لَـيْسَ مَـن مَـاتَ فاسْـتراحَ بمَيْـتٍ ... إنمـا المَيْـتُ مَيِّـتُ الأَحْيـاءِ

إنمـا المَيْـتُ مَـن يَعِـيشُ شَـقِيًّا ... كاسِـفًا بالُـه، قليـلَ الرَّجـاءِ (٤)

(١) الكتاب ٤/ ٣٦٦.

(٢) كتاب فيه لغات القرآن للفراء ٤٧ .

(٣) الزمر ٣٠ .

(٤) البيت من الخفيف، وهو لعدي بن الرعلاء الغساني في الأصمعيات ١٥٢ والتنبيه والإيضاح (م و ت) ١/ ١٧٣ و لسان العرب (م وت) ، وخزانة الأدب ٩/ ٥٨٣ وتاج العروس (م و ت)؛ ولصالح بن عبد القدوس في الحماسة للبحتري ٤٢٠ وبلا نسبة في تهذيب اللغة والصحاح (م و ت) ، وتاج العروس (ح ي ي) .

ألا ترىٰ أنه أوقع المخفّف والمشدّد علىٰ شيء واحد (١) .

ومنه قول الراجز :

ومنهل فيه الغراب الميْت (٢) .

اختيار القراءة

والقراءة بالتثقيل أولىٰ عند ابن جرير الطبري ؛ لأنها أبلغ في المدح وأكمل في الثناء ، في حين ذكر أن التثقيل والتخفيف يستويان في (ميت) حينما فسر قوله تعالىٰ : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ...) (٣) ، قال ابن جرير : (والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في ياء (الميتة) لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب، فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب ؛ لأنه لا اختلاف في معنييهما) (٤) .

---

(١) معاني الأزهري ١/ ٢٤٨ وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٣٢ ولسان العرب (م و ت) .

(٢) البيت من الرجز عن ابن الأعرابي في الأمالي ٢/ ٢٤٤ ، ولأبي محمد الفقعسي في سّمط اللآلي ١/ ٨٦٩ ، واللسان (غ ف ف-أج ن) وبلا نسبة في الحجة للفارسي ٣/ ٢٦ وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٣٢.

(٣) البقرة من الآية ١٧٣.

(٤) جامع البيان ٣/ ٦١٩ .

ويستويان عند أكثر النحويين (١) .

قال الأزهري : (وأمَّا ما اتفق القراء علىٰ تَخفيفه وتشديده فالقراءة سنة لا تُتَعَدَّىٰ، وإذا اختلفوا فقراءة كل علىٰ ما قرأ، ولا يجوز مُمَاراته وتكذِيبُه) (٢) .

****

(قَــرْح)(قُــرْح)

(إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ) (٣) .

وقوله تعالىٰ : (ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ) (٤)

---

(١) معاني الأخفش ١/ ١٦٦ المقتضب ١/ ٣٦٦ وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٥/ ٢٧٤ . ، ومعاني القراءات ١/ ٢٤٩ وحجة ابن خالويه ١٠٧وحجة الفارسي ٣/ ٢٦ والكشف لمكي ١/ ٣٣٩ وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٣٢.

(٢) معاني القراءات للأزهري ١/ ٢٤٩ .

(٣) آل عمران من الآية ١٤٠ قرأها ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية حفص وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب (قَرح)بفتح القاف وسكون الراء ، وقرأها حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر وخلف (قُرح) بضم القاف وسكون الراء يراجع جامع البيان ٧/ ٢٣٦ والسبعة ٢١٦ وإعراب النحاس ١/ ٤٠٨ وإعراب القراءات ١/ ١١٩ ومعاني القراءات ١/ ٢٧٣ ،٢٧٤ والمبسوط ١٦٩ وحجة القراءات ١٧٤ والكشف ١/ ٣٥٦ والتيسير ٩٠ والبحر ٣/ ٦٨ والدر المصون ٣/ ٤٠٢ وبلا نسبة في معاني الفراء ١/ ٢٣٤ ومعاني الزجاج ١/ ٤٧٠ وحجة ابن خالويه ١١٤ والكشاف ١/ ٦٣١ والتبيان ٢٩٤ .

(٤) آل عمران من الآية ١٧٢.

التحليل اللغوي

الْقرح : الْجراح ، القَرْحة – الجِرَاحة ، وَالْجمع : قَرْحٌ وقُرُوح ، والقَرْح – عَضُّ السِّلاح وَنَحْوه مِمَّا يَخرُج بالبَدَن، ابْن السّكيت، هُوَ القَرْح والقُرْح ، وكأنَّ القُرْح أَلَمُ الجِرَاح ، وكأنَّ القَرْح الجِرَاحات بأعْيانها ، قَالَ : وقريء (إنْ يَمْسَسْكُم قَرْحٌ) وقُرْح) ،وَرجل قَرِيح ، وَقوم قَرْحَىٰ . (١)

الفرق بين الكلمتين .

ذهب أكثر اللغويين إلىٰ أن (القرح) بالفتح الجراحات بأعيانها ، وبالضم ألم الجراحات ، مثل : (فَقْر) و (فُقْر) ، ومنه قراءة من قرأ : أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ (٢) ووَجْدكم، ، وقوله تعالىٰ : وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ (٣)و (جهدهم)، لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (٤) و (وسَعها) (٥).

(١) المخصص ق رح ١/ ٤٨٥ ، ٤/ ٤٠٣ ويراجع لسان العرب (ق رح) .

(٢) الطلاق من الآية ٦ والضم قراءة الجمهور، والفتح قراءة الحسن والأعرج ، يراجع المختصر في شواذ القرآن ١٥٨ والبحر٨/ ٢٨١ والدر المصون ١٠ / ٣٥٧.

(٣) التوبة من الآية ٧٩ والضم قراءة الجمهور والفتح قراءة عطاء ومجاهد وابن هرمز مختصر الشواذ ٥٩ والبحر المحيط ٥/ ٧٦ والدر المصون ٦/ ٩٠.

(٤) البقرة من الآية ٢٨٦ والضم قراءة الجمهور والفتح قراءة ابن أبي عبلة مختصر الشواذ ٢٥.

(٥) معاني الفراء ١/ ٢٣٤ ومعاني الأخفش ١/ ٢٣٣ وإعراب النحاس ١/ ٤٠٨.

وذهب الأخفش إلىٰ القول بأنهما مصدران لـ (قرِح) ، قال الأخفش : (قال تعالىٰ (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) ، قال بعضهم : (قُرْحٌ) مثل : (الضَعْف) و (الضُعْف) وتقول منه : (قَرِحَ) (يَقْرَح) "قَرْحا" ، وهو قَرِح) (١).

واكتفىٰ الزجاج بقوله : (﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ و (قُرْحٌ) جميعـًا يقرآن، وهما عند أهَل اللغة بمعنىٰ واحد ، ومعناه الجراح وألمُها ، يُقَالُ : قَدْ قَرِحَ يَقْرَحُ قَرْحـًا، وأصابه قَرْحٌ، قال بعضهم : كأن القُرح الجُرْح، وكأن القَرْح الألم) (٢).

وذهب ابن حسنون السامري إلىٰ أن الفتح لغة أهل الحجاز ، وبالضم لغة تميم (٣).

اختيار القراءة

واختار الطبري و الفارسي الفتح، قال الطبري : (قال أبو جعفر: وأولىٰ القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: (﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ ، بفتح القاف في الحرفين، لإجماع أهل التأويل علىٰ أن معناه: القتل والجراح، فذلك يدل علىٰ أن القراءة هي الفتح.

وكان بعض أهل العربية يزعُمُ أن (القَرح والقُرح) لغتان بمعنىٰ واحد. والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا) . (٤).

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٣٣ .

(٢) معاني الزجاج ١/ ٤٧٠ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٩.

(٣) اللغات في القرآن ٢٣ .

(٤) جامع البيان ٧/ ٢٣٧.

وقال الفارسي : (وكأن الفتح أولىٰ لقراءة ابن كثير، ولأنّ لغة أهل الحجاز الأخذ بها أوجب، لأنّ القرآن عليها نزل ، وقال أبو الحسن: قرح، يقرح قرحا، وقرحا، فهذا يدلّ علىٰ أنّهما مصدران، وأنّ كلّ واحد منهما بمعنىٰ الآخر، ومن قال: إنّ القرح الجراحات بأعيانها، والقرح ألم الجراحات قُبِل ذلك منه إذا أتىٰ فيه برواية، لأنّ ذلك ممّا لا يعلم بالقياس) (١).

وفرَّق الراغب الأصفهاني بينهما بقوله : (القَرْحُ: الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج، والقُرْحُ: أثرها من داخل كالبثرة ونحوها، يقال: قَرَحْتُهُ نحو: جرحته، وقَرِحَ : خرج به قرح ، وقَرَحَ قلبُهُ وأَقْرَحَهُ الله، وقد يقال : القَرْحُ للجراحة، والقُرْحُ للألم. قال تعالىٰ: (**مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ**) (٢)، **إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٌ مِّثۡلُهُۥ**، وقرئ: بالضم) (٣).

خلاصة القول :

وخلاصة القول أن القرح والقرح لغتان فصيحتان في كلام العرب ، يشهد بذلك ورودهما في القراءات السبعية المتواترة ، ولا يجوز لأحد أن يرد قراءة صحت روايتها عن رسول الله ـ ﷺ ـ ، فضلا عن كونهما يؤديان معنىٰ الجرح أو

(١) حجة الفارسي ٣/ ٧٩ .

(٢) آل عمران من الآية ١٧٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن ٦٦٥ .

ألم الجرح ؛ إذ لا ألم للجرح بدونه ، كما أنه قد وردت أمثلة ـ سُبقت الإشارة إليها ـ لمجيئ (فَعْل) و(فُعْل) في معنىٰ واحد . والله أعلم .

(قاتل) و (قُتِل)

(وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ) (١) .

توجيه القراءتين

ذهب ابن خالويه إلىٰ أن من قرأها (قاتل) جعل الفعل لـ (ربيون) ، فرفعه به؛ لأنه حديث عنهم. (٢) .

وذهب الفراء وابن خالويه إلىٰ أن من قرأها : (قُتِل) جعل الوهن للمقاتلين ، ووقف عليها ، وابتدأ بما بعدها (**مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ**) ؛ لأن الله تعالىٰ مدح أمما قتل عنهم نبيهم ، فما ضعفوا لما أصابهم من قتل نبيهم وما استكانوا .(٣) .

---

(١) آل عمران من الآية ١٤٦ قرأها ابن عامر وعاصم وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف (قاتل) بألف فعلا ماضيا ، واختارها أبو عبيد ، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو ونافع ويعقوب (قُتِل) مبنيا للمفعول من الفعل الثلاثي (قتل) واختارها أبو حاتم ورجحها الطبري . يراجع جامع البيان ٧/ ٢٦٤ والسبعة ٢١٧ وحجة الفارسي ٣/ ٨٢ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٢٠ وتفسير القرطبي ٤/ ٢٢٩ وحجة القراءات ١٧٥ والمبسوط ١٦٩ والكشف ١/ ٣٥٩ ، ٣٦٠ والتيسير ٩٠ والعنوان ٨١ والمحرر الوجيز ١/ ٥٢٠ ومفاتيح الغيب ٩/ ٣٨٠ والبحر ٣/ ٧٨ والدر المصون ٣/ ٤٢٨ ،٤٢٩ والنشر ٢/ ٢٤٢ وبلا نسبة في معاني الفراء ١/ ٢٣٧ و معاني الأخفش ١/ ٢٣٥ وحجة ابن خالويه ١١٤ والكشاف ١/ ٦٣٨ .

(٢) حجة ابن خالويه ١١٤ .

(٣) معاني الفراء ١/ ٢٣٧ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٢٠وحجة ابن خالويه ١١٤ .

وذهب الفارسي إلىٰ أن حجة من قرأ (قاتل) جعل الوهن للمقاتلين ،فهو أعم في المدح ؛ لأن الله تعالىٰ إذا مدح من لم يقاتل مع نبيه كان من قاتل مع نبيه أمدح .(١) ، فقال: ﴿ وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ . (٢) .

ومن قرأها: (قتل) أنّ هذا الكلام اقتصاص ما جرىٰ عليه سير أمم الأنبياء قبلهم ليتأسوا بهم، وقد قال: أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم (٣) .

نقاش

يصح علىٰ قراءة من قرأ ((قاتل) أو (قُتِل) أن يسند الفعل إلىٰ ضمير النبي ، أو إلىٰ (ربيون) .

فذهب الأخفش والطبري وجماعة إلىٰ الأول ، ورجح ذلك بأن القصة هي سبب غزوة أحد، وتخاذل المؤمنين حين أشيع أن النبي ـ ﷺ ـ قد قتل ، فضرب المثل بنبي قتل. ويؤيد هذا الترجيح قوله: أفإن مات أو قتل. وقد قال ابن عباس في قوله: ((**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ**) : النبي يقتل، فكيف لا يخان؟ وإذا أسند لغير النبي كان المعنىٰ تثبيت المؤمنين لفقد من فقد منهم فقط. (٤) .

---

(١) حجة الفارسي ٣/ ٨٤ .

(٢) آل عمران من الآية ١٩٥ .

(٣) آل عمران من الآية ١٤٤ ويراجع حجة الفارسي ٣/ ٨٤ ومفاتيح الغيب ٩/ ٣٨٠.

(٤) معاني الأخفش ١/ ٢٣٥ وجامع البيان ٧/ ٢٦٤ ومعاني الزجاج ١/ ٤٧٦ .

وقوله: (**مَعَهُ رِبِّيُّونَ**) علىٰ هذا التأويل يجوز أن يكون صفة لـ (نَبِيٍّ)، ويجوز أن يكون حالا من الضمير الذي أسند إليه (قتل) ، فإن جعلته صفة أضمرت للمبتدأ الذي هو (كَأَيِّنْ) خبرا ، تقديره في آخر الكلام : مضىٰ أو ذهب أو فُقِد ، فَما وَهَنُوا (١) .

وإن جعلت (**مَعَهُ رِبِّيُّونَ**) حالا من الضمير فخبر المبتدأ في قوله: (قتل)، وإذا جعلته صفة فالضمير في (مَعَهُ) عائد علىٰ (نبي) ، وإذا جعلته حالا فالضمير في (مَعَهُ) عائد علىٰ الضمير ذي الحال، وعلىٰ كلا الوجهين من الصفة أو الحال فـ (**مَعَهُ رِبِّيُّونَ**) متعلق في الأصل بمحذوف، وليس متعلقا بـ (قتل)(٢) .

وألمح القرطبي إلىٰ لفتة وهي أن قراءة (قتل) فيها وجهان: أحدهما أن يكون (قتل) واقعا علىٰ النبي وحده، وحينئذ يكون تمام الكلام عند قوله : (قتل) ويكون في الكلام إضمار، أي ومعه ربيون كثير، كما يقال: قتل الأمير معه جيش عظيم، أي ومعه جيش. وخرجت معي تجارة، أي ومعي.

الوجه الثاني أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين، ويكون وجه الكلام : قتل بعض من كان معه، تقول العرب: قتلنا بني تميم وبني سليم، وإنما

---

(١) هذا رأي العكبري في التبيان ١/ ٢٩٩ وضعفه أبو حيان لأن الكلام مستقل بنفسه لا يحتاج إلىٰ تكلف إضمار. البحر ٣/ ٧٨ .

(٢) حجة الفارسي ٣/ ٨٢ والكشاف ١/ ٦٣٨ والمحرر الوجيز ١/ ٥٢٠.

قتل بعضهم ، ويكون قوله : (**فَمَا وَهَنُواْ**) راجعا إلىٰ من بقي منهم. قلت: وهذا القول أشبه بنزول الآية وأنسب، فإن النبي ـ ﷺ ـ لم يقتل، وقتل معه جماعة من أصحابه. (١) .

وإلىٰ أن الفعل مسند إلىٰ (ربيون) ذهب الحسن وجماعة. قال هو وابن جبير: لم يقتل نبي في حرب قط. (٢) .

فعلىٰ هذا القول يتعلق قوله: (مَعَهُ) بـ (قتل) – وهذه الجملة– (قتل معه ربيون) ، هي الابتداء .

ويتصور في قراءة من قرأ : (قاتل) جميع ما ذكرته من التقديرات في قراءة (قتل) (٣)

واستحسن ابن عطية إسناد الفعل إلىٰ (ربيون) علىٰ قراءة من قرأ «قاتل» ، وعلىٰ قراءة «قتل» إسناده إلىٰ (نبي) . (٤) .

ورده أبو حيان بقوله : (بل (قتل) أمدح وأبلغ في مقصود الخطاب، فإن (قتل) يستلزم المقاتلة من غير عكس . (٥) .

---

(١) تفسير القرطبي ٤/ ٢٢٩.

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٢٢٩.

(٣) المحرر الوجيز ١/ ٥٢٠ والبحر ٣/ ٧٨ وزاد أبو حيان أن يرتفع (ربيون) علىٰ الفاعلية بالظرف، ويكون الظرف هو الواقع حالا والتقدير: كائنا معه ربيون، وهذا هو الأحسن. لأن وقوع الحال مفردا أحسن من وقوعه جملة.

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٥٢٠.

(٥) البحر المحيط ٣/ ٧٩ بتصرف يسير ويراجع الدر المصون ٣/ ٤٣٠ .

اختيار القراءة

اختار أبو عبيد والأخفش قراءة من قرأ : (قاتل) ؛ لأنها أعم في المدح ، ولأنه يدخل فيها من قتل ومن بقي . (١) .

واختار أبو حاتم والطبري قراءة من قرأ : (قُتِل) ؛ لأن الله ﷻ إنما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُم﴾ (٢) .الذين انهزموا يوم أحُد، وتركوا القتال، أو سمعوا الصائح يصيح: (إن محمدًا قد قتل). فعذلهم الله ـ ﷻ ـ علىٰ فرارهم وتركهم القتال ، فقال: أفائن مات محمد أو قتل، أيها المؤمنون، ارتددتم عن دينكم وانقلبتم علىٰ أعقابكم؟ ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم، وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم من المضي علىٰ منهاج نبيهم، والقتال علىٰ دينه أعداءَ دين الله، علىٰ نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم ولم تهنوا ولم تضعفوا، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صَبروا لأعدائهم حتىٰ حكم الله بينهم ؟ وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأوِّلين. (٣) .

---

(١) معاني الأخفش ١/ ٢٣٥ وتفسير القرطبي ٤/ ٢٣٠.

(٢) آل عمران من الآية ١٤٢ .

(٣) جامع البيان ٧/ ١٦٤ ،٢٦٥وتفسير القرطبي ٤/ ٢٢٩.

والقراءتان جيدتان عند الأزهري (١) ، وتحتملان الوجهين عند أبي حيان(٢) فمن قرأ (قاتل) وأسنده للربيين جعل المعنىٰ أنهم قاتلوا وما وهنوا في قتالهم ، ومن قرأ : (قتل) وأسنده إلىٰ (ربيون) جعل المعنىٰ : ما وهن من بقي منهم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ومن أسند الفعل إلىٰ ضمير النبي كان قوله: فما وهنوا أي: ما وهن الرّبيون . والله أعلم .

****

(وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا) و (وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا) و (وَقَاتَلُوا وَقُـتِلُوا) .

ومثله قوله تعالىٰ : ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ (٣) .

(١) معاني القراءات ١/ ٢٧٥.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٧٩.

(٣) آل عمران من الآية ١٩٥ .قرأها عاصم وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب ونافع (وقاتلوا وقتلوا) ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول ، وقرأها حمزة والكسائي وخلف ببناء الأول للمفعول والثاني للفاعل وقرأها ابن عامر و ابن كثير (وقاتلوا وقتِّلوا) بالتشديد . يراجع السبعة ٢٢١ ومعاني القراءات ١/ ٢٨٨ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٢٦وحجة الفارسي ٣/ ١١٦ وحجة القراءات ١٨٧ والتيسير ٩٣ والعنوان ٨٢ والكشف ١/ ٣٧٣ والبحر ٣/ ١٥٢ والدر المصون٣/ ٥٤٢ والنشر ٢/ ٢٤٦ وبلا نسبة في جامع البيان ٧/ ٤٩٢ .

توجيه القراءات

أولا : قراءة من قرأ ﴿وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾.

اتفق المفسرون جميعا علىٰ أن قراءة من قرأ (﴿**وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ**﴾ بتقديم المبني للفاعل علىٰ المبني للمفعول ؛ لأن المقاتلة تكون قبل القتال ، والمعنىٰ أنهم قاتلوا معه حتىٰ قتلوا . (١) .

ثانيا : قراءة من قرأ : (وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا) بتقديم المبني للمفعول علىٰ المبني للفاعل ، بمعنىٰ: أن بعضهم قُتِل، وقاتل من بقي منهم. (٢) ، فتشبه الآية قوله تعالىٰ:(**فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ**﴾ (٣) . علىٰ تأويل من رأىٰ أن القتل وقع بالربيين (٤) .

تقول العرب: قَتَلْنا بني تميم، وإنما قُتِل بعضهم. (٥)، أو لأن القتل يقع علىٰ القليل والكثير . (٦) .؛ لأن الواو لا تدلّ علىٰ أن الثاني بعد الأول ، كَمَا في قوله: ﴿وَٱسۡجُدِی وَٱرۡكَعِی﴾ (٧) ،

---

(١) حجة الفارسي ٣ / ١١٧ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٧٠ .

(٢) جامع البيان ٧/ ٤٩٢ ، والكشف ١/ ٣٧٣ ويسميه أبو حيان : التوزيع . يراجع البحر المحيط ٣/ ١٥٢والدر المصون ٣/ ١٥٢.

(٣) آل عمران من الآية ١٤٦.

(٤) حجة الفارسي ٣ / ١١٧ والكشف ١/ ٣٧٣ و المحرر الوجيز ١/ ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

(٥) حجة الفارسي ٣/ ١١٧ وتفسير القرطبي ٤/ ٣١٩ .

(٦) حجة الفارسي ٣ / ١١٧ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٧٠ .

(٧) آل عمران من الآية ٤٣.

وليس العطف بها كالعطف بالفاء . (١) .

وزاد القرطبي أنه قد يكون علىٰ إضمار (قد) ، أَيْ : (قُتِلُوا وَقَدْ قَاتَلُوا) .

ثالثا : قراءة من قرأ : (وَقَاتَلُوا وَقُتِّلُوا) أكثر المفسرين علىٰ أن هذه القراءة علىٰ التكثير في الفعل ، بمعنىٰ: أنهم قاتلوا المشركين وقتَّلهم المشركون، بعضًا بعد بعض، وقتلا بعد قتل. (٢) .

اختيار القراءة :

اختار الطبري قراءة : (**وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ**) و (وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا)

قال الطبري : (والقراءة التي لا أستجيز أن أعدوها، إحدىٰ هاتين القراءتين، وهي: (**وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ**) بالتخفيف ،أو (وَقَتَلُوا) بالتخفيف (وَقَاتَلُوا) ؛ لأنها القراءة المنقولة نقل وراثةٍ، وما عداهما فشاذ. وبأيّ هاتين القراءتين التي ذكرت أني لا أستجيز أن أعدوَهما، قرأ قارئ فمصيب في ذلك الصوابَ من القراءة، لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في قراءة الإسلام، مع اتفاق معنييهما) . (٣)

والحق أنها كلها صحيحة ؛ إذ المعنىٰ يقبلها ويستسيغها ، كما أنها وافقت وجوه العربية ، ولا وجه لرد أي منها . والله أعلم .

---

(١) جامع البيان ٧/ ٤٩٢ وإعراب النحاس ١/ ٤٢٧ و حجة الفارسي ٣ / ١١٧ والقرطبي ٤/ ٣١٩ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٧١.

(٢) إعراب النحاس ١/ ٤٢٧ وحجة ابن خالويه ١/ ١٢٥ وحجة الفارسي ٣/ ١١٧ والقرطبي ٤/ ٣١٩ والمحرر الوجيز ١/ ٥٥٧ ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٧١.

(٣) جامع البيان ٧/ ٤٩٢ .

ض

المبحث الخامس : اختلاف الأبنية واختلاف مرجع الضمير

(ستغلبون وتحشرون) (سيغلبون ويحشرون)

(قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ) (١) .

توجيه القراءتين .

اخْتلفُوا فِي الْيَاء وَالتَّاء من قَوْله (سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ) .

ذكر الفراء أن القراءة بالياء خطاب لليهود لا غير ، أما قراءة التاء فخطاب لليهود والمشركين .

قال الفراء : (وقوله: **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ**...تقرأ بالتاء والياء. فمن جعلها بالياء فإنه ذهب إلىٰ مخاطبة اليهود، وإلىٰ أن الغلبة علىٰ المشركين بعد يوم أحد. وذلك أن النبي ـ ﷺ ـ لما هزم المشركين يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف والمشركون ألف إلا شيئا قالت اليهود: هذا الذي لا ترد له راية، فصدقوا. فقال بعضهم: لا تعجلوا بتصديقه حتىٰ تكون وقعة أخرىٰ ، فلما نكب

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٢.قرأها حمزة والكسائي وخلف والأعمش بياء الغيبة والباقون بالتاء . يراجع السبعة ٢٠٧ ومعاني القراءات ١/ ٢٤٢ وحجة الفارسي ٣/ ١٧ وحجة ابن خالويه ١٠٦ وحجة القراءات ١٥٤ والكشف لمكي ١/ ٣٣٥ والبحر المحيط ٢/ ٤١٠ والدر المصون ٣/ ٤١ وبلا نسبة في معاني الفراء ١/ ٥٤، ٦١ ، ١٩١ ، ٢٧٠، ٢٧٨ ، ٣٤٩ ، ٢/ ٢٤٢ ومعاني الزجاج ١/ ٣٨٠ وجامع البيان ٦/ ٢٢٩ .

المسلمون يوم أحد كذبوا ورجعوا ، فأنزل الله: قل لليهود سيغلب المشركون ويحشرون إلىٰ جهنم. فليس يجوز في هذا المعنىٰ إلا الياء .

ومن قرأ بالتاء جعل اليهود والمشركين داخلين في الخطاب. فيجوز في هذا المعنىٰ (سيغلبون وستغلبون) كما تقول في الكلام: قل لعبد الله إنه قائم، وإنك قائم) (١) .

و ذهب الزجاج إلىٰ أن القراءة بالتاءِ للحكاية والمخاطبة، أي قل لهم في خطابك : (ستغلبون) . أما من قرأ : (سَيُغْلَبُونَ) فالمعنىٰ بلغهم أنهم سيغلبون. وهذا فيه أعظم آية للنبي –ﷺ– لأنه أنبأهم بما لم يكن وأنبأهم بغيب، ثم بانَ تصديق ما أنبأ به لأنه –ﷺ– غلبهم أجمعين كما أنبأهم (٢) .

ووجه ابن خالويه قراءة التاء و الياء بقوله : (يقرأن بالتاء والياء. فالحجة لمن قرأهن بالتاء: أنه أراد: قل لهم يا محمد مواجها بالخطاب: ستغلبون. وهذا من أدل دليل علىٰ نبوته صلىٰ الله عليه، لأنه أخبرهم عن الغيب بما لم يكن أنه سيكون، فكان كما قال، والحجة لمن قرأ بالياء: أنه خاطب نبيه بذلك، وهم غيب، فكانت الياء أولىٰ لمكان الغيبة. (٣) .

ورجح أبو علي الفارسي قراءة التاء علىٰ المواجهة، وأن المقصود بـ (الذين كفروا) يعم الفريقين، المشركين واليهود .

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ١٩١، ويراجع الكشاف ١/ ٥٣١ .

(٢) معاني الزجاج ١/ ٣٨٠ ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٣٦٠ .

(٣) الحجة لابن خالويه ١٠٦.

قال أبو علي الفارسي : (ويدلّ علىٰ حسن التاء هنا والمخاطبة قوله تعالىٰ: وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ(١) والآية كلّها علىٰ الخطاب. وكذلك قول من قرأ: ستغلبون بالتاء .

وللتاء علىٰ الياء مزية ما في الحسن، وهو أنّه إذا قيل: (سيغلبون) فقد يمكن أن يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين، وأنّهم قوم آخرون، فإذا كان بالخطاب، لم يجز أن يظنّ هذا) (٢) .

ورجحها مكي بن أبي طالب : لإجماع الحرميين وعاصم وغيرهم علىٰ ذلك(٣)

وفرق أبو حيان وتبعه السمين الحلبي بين قراءة التاء وقراءة الياء بأن قراءة التاء إخبار بالمعنىٰ وقراءة الياء إخبار باللفظ .

قال أبو حيان : (ومن قرأ بالياء فالظاهر أن الضمير: للذين كفروا، وتكون الجملة إذ ذاك ليست محكية بـ (قل)، بل محكية بقول آخر ، التقدير: قل لهم قولي سيغلبون، وإخباري أنه يقع عليهم الغلبة والهزيمة. كما قال تعالىٰ: قل

---

(١) آل عمران صدر الآية ٨١.

(٢) حجة الفارسي ٣/ ١٨، وجعل ابن عطية قراءة التاء تحتمل الخطاب لليهود أن قريشا ستغلب . يراجع المحرر١ / ٤٠٦ .

(٣) الكشف لمكي ١/ ٣٣٦ .

للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (١) فبالتاء أخبرهم بمعنىٰ ما أخبر به من أنهم سيغلبون، وبالياء أخبرهم باللفظ الذي أخبر به أنهم سيغلبون) (٢) .

ومثله : ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣).(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ)

توجيه القراءتين

وجَّه المفسرون قراءة الياء علىٰ الرد علىٰ الغيبة الذي هو أقرب إليه من لفظ الخطاب ، وهو قوله تعالىٰ : (مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى

(١) سورة الأنفال من الآية : ٣٨.

(٢) البحر ٢/ ٤١٠ ويراجع الدر المصون ٣/ ٤١ وروح المعاني ٢/ ٩٢ .

(٣) آل عمران الآية ١١٥ قرأها عاصم في رواية حفص وأبو جعفر ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فيهما ، وهي اختيار أبي عبيد والصواب عند الطبري ، وقرأها ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو في أحد وجهيه (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) بالتاء فيهما علىٰ الخطاب ، وهي اختيار أبي حاتم يراجع جامع البيان ٧/ ١٣١ والسبعة ٢١٥ وحجة الفارسي ٣/ ٧٣ والمبسوط ١٦٨ وحجة القراءات ١٧٠ ،١٧١ والكشف ١/ ٣٥٤ والتيسير ٩٠ والمحرر الوجيز ١/ ٤٩٤ والبحر ٣/ ٣٩ والدر المصون ٣/ ٣٥٨ والنشر ٢/ ٢٤١ وبلا نسبة في معاني الزجاج ١/ ٤٦٠ وحجة ابن خالويه ١١٣ والكشاف ١/ ٦١٢ والتبيان ١/ ٢٨٧ .

ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ) (١)، فجرىٰ علىٰ لفظ الغيبة؛ لاتصاله بألفاظ كلها للغائب ، فهو أولىٰ به من الخطاب البعيد عنه في قوله تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ. (٢).

أما من قرأهما بالتاء فحجتهم قَوْله قبلهَا : ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ) (وَمَا يَفْعَلُوا من خير فَلَنْ يكفروه) أَيهَا المخاطبون بِهَذَا الْخطاب ، وهم

(١) آل عمران الآيات ١١٣ ـ ١١٥.

(٢) آل عمران الآيتان ١١٠ ، ١١١ ويراجع جامع البيان ٧/ ١٣١ ،١٣٢ وحجة الفارسي ٣/ ٧٣ والقرطبي ٤/ ١٧٧ والكشف ١/ ٣٥٤ والمحرر الوجيز ١/ ٤٩٤ والبحر ٣/ ٣٩ .

أمة محمد ـ ﷺ ـ فيكون من تلوين الخطاب ومعدوله، وهو اختيار أبي حاتم.(١).

وذهب الزجاج و مكي بن أبي طالب والرازي إلىٰ أن الخطاب لأمة محمد ـ ﷺ ـ وسائر الخلق داخل معهم في ذلك ، بدليل قوله **تعالى** : إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ (٢) ، وقوله: (وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ(٣) ، **وقوله** : (وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ) (٤) ، قوله: يعلمه الله ،أي: يجازي عليه. (٥).

وجعل ابن عطية قراءة التاء علىٰ خطاب أهل الكتاب . (٦).

وذهب أبو حيان والسمين الحلبي إلىٰ أن الخطاب لأمة محمد ـ ﷺ ـ ويجوز أن يكون التفاتا من الغيبة في قوله (أمة قآئمة) إلىٰ آخره إلىٰ خطابهم، وذلك أنه آنسهم بهذا الخطاب، ويؤيد ذلك أنه اقتصر علىٰ ذكر الخير دون الشر ؛ ليزيد في

(١) حجة القراءات ١٧١ والقرطبي ٤/ ١٧٧ والكشف ١/ ٣٥٤ والبحر ٣/ ٣٩ .

(٢) الإسراء من الآية ٧ .

(٣) البقرة من الآية ٢٧٢.

(٤) البقرة من الآية ١٩٧ .

(٥) معاني الزجاج ١/ ٤٦٠ والكشف ١/ ٣٥٤ ومفاتيح الغيب ٨/ ٣٣٤.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٤٩٤.

التأنيس، ويدل علىٰ ذلك قراءة الأخوين، فإنها كالنص في أن المراد قوله (أمة قآئمة) . (١).

اختيار القراء ة

ذهب الطبري إلىٰ أن قراءة الياء أولىٰ وهو اختيار أبي عبيد ؛ لأن ما قبل هذه الآية من الآيات ؛ خبر عنهم. فإلحاق هذه الآية بمعاني الآيات قبلها، أولىٰ من صرفها عن معاني ما قبلها. ولأن ابن عباس ـ ﷺ ـ كان يقرأهما بالياء (٢).

وذهب الزجاج والأزهري وابن خالويه إلىٰ أن القراءتين متساويتان (٣).

قال ابن خالويه : (قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾، يقرأ بالياء، والتاء. والأمر فيهما قريب ، فمن قرأهما بالتاء جعل الخطاب للحاضرين وأدخل الغيب في الجملة ، ومن قرأ بالياء وجه الخطاب إلىٰ الغيب، وأدخل الحاضرين في الجملة، ولهذا المعنىٰ كان أبو عمرو يخير بينهما) . (٤).

فضلا عن ذلك : المعنىٰ لا يمنع من إرادة المعنيين ، أو إرادة أحدهما . والله أعلم .

****

(١) البحر ٣/ ٣٩ والدر المصون ٣/ ٣٥٨.

(٢) جامع البيان ٧/ ١٣١ .

(٣) معاني الزجاج ١/ ٤٦٠ ومعاني القراءات ١/ ٢٦٩ وحجة ابن خالويه ١١٣ .

(٤) حجة ابن خالويه ١١٣ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٧ .

ومثله : ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١) و (وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

توجيه القراءتين

أجمع المفسرون وأصحاب القراءات علىٰ أن قراءة الياء إخبار عن الكافرين، أما قراءة التاء فعلىٰ خطاب المؤمنين .

قال ابن خالويه : (فمن قرأهما بالتاء جعل الخطاب للحاضرين وأدخل الغيب في الجملة ، ومن قرأ بالياء وجه الخطاب إلىٰ الغيب، وأدخل الحاضرين في الجملة، ولهذا المعنىٰ كان أبو عمرو يخير بينهما) . (٢) .

وذكر الفارسي أن حجّة من قرأ بالتاء أن قبله : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) ، وحجّة من قرأ بالياء: أنّ قبلها غيبة ،

(١) آل عمران من الآية ١٥٦ قرأها ابن عامر وعاصم وأبو جعفر وأبو عمرو ونافع ويعقوب (والله بما تعملون بصير) بالتاء علىٰ الخطاب تهديدا للمؤمنين لئلا يماثلوهم ، وقرأها ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف (والله بما يعملون بصير) بالياء علىٰ الغيبة وعيدا للذين كفروا . يراجع السبعة ٢١٧ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٢٢ وحجة الفارسي ٣/ ٩١، ٩٢ والمبسوط ١٧٠ وحجة القراءات ١٧٧ والكشف ١/ ٣٦١ والتيسير ٩١ والعنوان ٨١ وغرائب القرآن ٢/ ٢٧٧ والنشر ٢/ ٢٤٢ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١١٥ وتفسير القرطبي ٤/ ٢٤٧ والكشاف ١/ ٦٤٦ .

(٢) حجة ابن خالويه ١١٣ ويراجع ١١٥.

وهو قوله : (وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ) (١) . وما بعده ، فحمل الكلام علىٰ الغيبة.(٢) .

وذكر أبو زرعة أن حجة من قرأ بالتاء أن قبله : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ..) وبعده : (وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ..) فجرىٰ الكلام بلفظ مخاطبة المؤمنين . (٣) .

وذهب ابن عطية أن القراءتين وعد ووعيد ، وعد للمؤمنين بامتثال الأمر و توكيد للنهي في قوله : (لَا تَكُونُواْ) ، ووعيد للمنافقين ومن خالفه . (٤) .

اختيار القراءة

القراءتان متعادلتان عند أصحاب القراءات ، إلا أن القراءة بالتاء أحب لمكي بن أبي طالب ؛ لأن الأكثر عليه . (٥).

والحق أن القراءتين متعادلتان لا فرق بينهما ، لا سيما والمعنىٰ يحتمله علىٰ كلا القراءتين . والله أعلم .

****

(١) آل عمران من الآية ١٤٧.

(٢) حجة الفارسي ٣/ ٩٢، ٩٣ والكشف ١/ ٣٦١ .

(٣) حجة القراءات ١٧٧.

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٥٣٢ والبحر ٣/ ١٠٢ والدر المصون ٣/ ٤٥٦.

(٥) حجة ابن خالويه ١١٣ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٧ والكشف ١/ ٣٦١.

ومثله : ((**وَلَا يَحْسَبَنَّ**) و ((**وَلَا تَحْسَبَنَّ**) .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١) .

وقوله تعالىٰ : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) .

(١) آل عمران الآية ١٧٨ وقوله جلَّ وعزَّ: و: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... (١٧٨) و: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) آل عمران ١٨٠ و: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ) . . . (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) آل عمران ١٨٨ .قرأ ابن كثير وأبو عمرو أربعهن بالياء، وقرأ نافع وابن عامر ثلاثًا بالياء وواحدة بالتاء، وهو قوله: (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) ، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) و (لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) بالياء، والأخرَيَين بالتاء. وقرأ حمزةُ كلهن بالتاء، قرأها ابن عامر وعاصم وأبو جعفر وحمزة بفتح السين حيث وقع وهو القياس؛ لأن ماضيه (حسِب) بزنة (فعِل) ،وقرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ونافع ويعقوب وخلف (يحسِب) بكسر السين يراجع السبعة ١٩١ ومعاني الأزهري ١/ ٢٣٠ ، ٢٣١ وإعراب القراءات السبع ١/ ١٠٣ وحجة الفارسي ٢/ ٤٠٢ والمبسوط ١٥٤ والقرطبي ٣/ ٣٤١ ،٤/ ٢٨٧ وحجة القراءات ١٤٨ والكشف ١/ ٣١٧ ، ٣١٨ والتيسير ٨٤ والعنوان ٧٦ والمحرر ١/ ٣٦٩ ومفاتيح الغيب ٧/ ٦٨ والبحر٢/ ٣٤٢ والدر المصون ٢/ ٦١٩ وغرائب القرآن ٢/ ٤٣ والنشر ٢/ ٢٣٦ وبلا نسبة في حجة ابن خالويه ١٠٣ التبيان ١/ ٢٢٢ وفتح القدير ١/ ٣٣٦ .

(٢) آل عمران الآية ١٨٨ .

توجيه القراءات

من قرأ : ((وَلَا يَحْسَبَنَّ) ،بالياء ففيه وجهان ، أحدهما : جعل (الذين) في هذه الآي رفع بأنّه فاعل (يحسب) ، وما بعدهم مفعول لهم.

الثاني : أن الفاعل ضمير يعود للكفار ، والضمير المتصل كناية عن الكفرة ، والتقدير : (فلا يحسب الكفار أنفسهم) (١) .

فتكون (ما) موصولة بمعنىٰ (الذي) والعائد محذوف ، تقديره : ولا يحسبن الذين كفروا أن الذي نمليه هو خير لهم ، ويحتمل أن تكون مصدرية ، والتقدير ، ولا يحسبن الذين كفروا أن الإملاء خير لهم .

ويجوز إسناد الفعل لضمير النبي ـ ﷺ ـ فتتَّحِدُ هذه القراءةُ علىٰ هذا الوجه مع قراءة حمزة ـ رحمه الله ـ (٢) .

ومن قرأها بالتاء جعل الفاعل ضمير النبي ـ ﷺ ـ ، أو ضمير (أحد) ، و(الذين) في موضع نصب بالحسبان وهو المفعول الأول ، وما بعده في موضع المفعول الثاني. (٣) ، فتكون (ما) موصولة بمعنىٰ (الذي) والعائد محذوف ، تقديره : ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا أن الذي نمليه لهم خير لأنفسهم ، ويحتمل أن تكون مصدرية ، والتقدير ، ولا تحسبن يا محمد شأن الذين كفروا

(١) إعراب القراءات السبع ١٢٣، ١٢٤.

(٢) الكشف لمكي ١/ ٣٦٦ والبحر المحيط ٣/ ١٣٣.

(٣) حجة ابن خالويه ١١٦ ،١١٧.

الإملاء هو خير لهم ، أو حال ، أو أمر ؛ ليكون المفعول الثاني هو الأول في المعنىٰ . (١)

ويجوز أن يكون الفعل مسندًا لضمير النبي ـ ﷺ ـ والتقدير : ولا يحسبن محمد بخل الذين يبخلون هو خير لهم ، علىٰ حذف المضاف . (٢) .

أما من قرأها بالتاء فقد جعل الفعل مسندا لضمير النبي ـ ﷺ ـ و (الذين يبخلون) مفعولٌ أولُ، و (خيرا) مفعولٌ ثانٍ. ولا بد علىٰ هذا التخريجِ مِنْ حَذْفِ مضافٍ، أي : ولا تحسبن بخل الذين يبخلون خيرا لهم ، وإنما احتجنا إلىٰ هذا التأويل؛ لأنَّ المصدرُ معنىً من المعاني لا يَصْدُق علىٰ الذين كفروا ، والذين يبخلون ، والمفعولُ الثاني في هذا البابِ هو الأولُ في المعنىٰ.

وذكر النحاس أن قراءة حمزة بالتاء (ولا تحسبنّ الذين يبخلون) بعيدة جدا ، وجوازها أن يكون التقدير: ولا تحسبنّ الذين يبخلون) مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾(٣) . (٤) .

(١) الكشف ١/ ٣٦٦.

(٢) الكشف ١/ ٣٦٧.

(٣) يوسف من الآية ٨٢.

(٤) إعراب النحاس ١/ ٤٢٢ وتفسير القرطبي ٤/ ٢٨٧.

ثانيا : قوله تعالىٰ : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

ذهب الكسائي و الفراء والأخفش إلىٰ أن من قرأ : (لا تحسبن) (جعل الثانية بدلا من الأولىٰ ؛ لأنه استغنىٰ بمفعولي (فلا تحسبنهم) عن مفعولي (لا تحسبن) ، ولم تمنع الفاء البدل ؛ لأنها صلة ، وهو كقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ (١) ، علىٰ التكرير: هَلْ ينظرون إلا أن تأتيهم. (٢) .

أما قوله تعالىٰ : (لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) بالياء في الأولىٰ والتاء في الثانية ، أسند الفعل لـ (الذين يفرحون) ، ولم يوقعه علىٰ شيئ (٣) ، وأسند الفعل لضمير النبي ـ ﷺ ـ لذلك لم يصح إبدال الثانية من الأولىٰ ؛ لاختلاف الفاعلين ، وإنما تُرك تعدي الأول لدلالة تعدي الثاني عليه ، وهو (فلا تحسبنهم بمفازة) ، والتقدير : لا يحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن

(١) محمد من الآية ١٨ .

(٢) معاني الفراء ١/ ٢٤٨ ومعاني الأخفش ١/ ٢٤٢ وجامع البيان ٧/ ٤٢٢ .

(٣) ردها الأخفش ؛ لأنه لم يوقع فعل الحسبان علىٰ شيئ . معاني الأخفش ١/ ٢٤٢ .

يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه . (١) .

وحكىٰ النحاس عن أبي حاتم السجستاني أنها لحن لا يجوز ، وتابعه علىٰ ذلك جماعة . (٢) .

ومن قرأ الثنتين بالتاء فقد أضاف الفعل إلىٰ النبي ـ ﷺ ـ و(الذين يفرحون) المفعول الأول ، وحذف المفعول الثاني ؛ لدلالة قوله (**فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ**) عليه ، ويجوز العكس ، أي حذف من الثاني لدلالة الأول عليه ، فيكون (بمفازة من العذاب) المفعول الثاني لـ (تحسبن) مرادا به التقديم ، كقولك : ظننت زيدا ذاهبا وظننت عمرا (٣) .

ومثله قول الشاعر :

بـــأيّ كتـــاب أم بأيّـــة ســـنّة ترىٰ حبّهم عـارا عليّ وتحسب (٤)

والحق أن قراءة التاء لا تتعارض مع قراءة الياء ؛ لأن المعنىٰ يحتملهما ، والقراءة سنة متبعة .

---

(١) الكشف ١/ ٣٦٨.

(٢) إعراب النحاس ١/ ٤٢١ ورد قول النحاس القرطبي والسمين الحلبي لتواترها . تفسير القرطبي ٤ / ٢٨٧ والدر المصون ٣/ ٤٩٧ .

(٣) الكشف ١/ ٣٦٨ بتصرف يسير .

(٤) البيت من الطويل، وهو للكميت في المحتسب ١/ ١٨٣و شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٩١ و المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرىٰ» لبدر الدين العيني ٢/ ٨٦٩ ، ٣/ ١٠٩٠ والتصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الزهري ١/ ٣٧٧ وخزانة الأدب ٩/ ١٣٧؛ والدرر ١/ ١٥٦ ، ٣٣٨ ، ٢/ ٢٥٣ ، وشرح الأشموني ٢/ ١٦٤، وهمع الهوامع ٢/ ٢٢٥.

المبحث السادس : اختلاف الأبنية واختلاف الدلالة

(يَقْتُلُونَ) و (يُقاتِلُونَ)

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (١) .

توجيه قراءة : (ويقتلون النبيين) .

ذهب ابن خالويه إلىٰ أن من قرأها (وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ) علىٰ أنه من القتل ، وقد أخبر الله عنهم في قوله تعالىٰ : (قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ) (٢) ، وذلك أبلغ في ذمهم وأثبت للحجة عليهم (٣).

وذكر الأزهري أن معناها: أنهم يقتلون الذين لا يقاتلونهم (٤).

---

(١) آل عمران الآية ٢١ قرأها حمزة بألف (وَيُقَاتِلُونَ) السبعة لابن مجاهد ٢٠٣ وفي معاني الفراء :١/ ٢٠٢(وقد قرأ بها الكسائي دهرا يقاتلون ثم رجع، وأحسبه رآها في بعض مصاحف عبد الله وقتلوا بغير الألف فتركها ورجع إلىٰ قراءة العامة إذ وافق الكتاب في معنىٰ قراءة العامة) وإعراب النحاس ٣٦٣ وإعراب القراءات لابن خالويه ١/ ١٠٩ومعاني القراءات للأزهري ١/ ٢٤٦ والمبسوط ١٦٢ وحجة القراءات١٥٨ والكشف ١/ ٣٣٨ و العنوان ٧٨ والنشر ٢/ ٢٣٨ ولبعض متأخري الكوفة في جامع البيان ٦/ ٢٨٤.

(٢) البقرة من الآية ٩١.

(٣) الحجة لابن خالويه ١٠٧.

(٤) معاني الأزهري ١/ ٢٤٦.

وذهب أبو علي الفارسي إلىٰ أن قوله : (وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ) معطوف علىٰ قوله: (وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ) ، فجاء الفعل علىٰ (يفعل) دون (يفاعل) ؛ لأنّ الآمرين بالقسط من الناس قد وافقوا الأنبياء في الأمر بالقسط ، وكبر عليهم مقامهم وموضعهم فقتلوهم كما قتلوا الأنبياء (١).

وذكر مكي بن أبي طالب أن الله أخبر عنهم بقتل الأنبياء ، وهو أمر عظيم ، فقتل من هو دونهم أسهل عليهم ، ومن تجرأ علىٰ قتل نبي فهو أجرأ علىٰ قتل من هو دونه ، فرد أول الكلام علىٰ آخره في الإخبار بالقتل عنهم ، وهذه القراءة أولىٰ عنده من قراءة (ويقاتلون) ؛ لينتظم آخر الكلام بأوله ، و لأنه إجماع القراء (٢) .

وذهب أبو حيان إلىٰ أن الله وصفهم بثلاثة أوصاف بدئ فيها بالأعظم فالأعظم، وبما هو سبب للآخر، الكفر بآيات الله، ـ وهو أقوىٰ الأسباب في عدم المبالاة بما يقع من الأفعال القبيحة ـ ، وقتل من أظهر آيات الله واستدل بها ، وقتل أتباعهم ممن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ، ومن كرر الفعل فذلك علىٰ سبيل عطف الجمل وإبراز كل جملة في صورة التشنيع والتفظيع ؛ لأن كل جملة مستقلة بنفسها، أو لاختلاف ترتب العذاب بالنسبة علىٰ من وقع به الفعل ، فقتل الأنبياء أعظم من قتل من يأمر بالمعروف من غير الأنبياء ، فجعل القتل بسبب اختلاف مرتبته كأنهما فعلان مختلفان ، وقيل: يحتمل أن يراد بأحد

(١) الحجة للفارسي ٣/ ٢٤.

(٢) الكشف لمكي ١/ ٣٣٩ بتصرف يسير .

القتلين تفويت الروح ، وبالآخر الإهانة وإماتة الذكر، فيكونان إذ ذاك مختلفين) (١) .

وزاد السمين الحلبي أنه كرر الفعل للتوكيد (٢) .

توجيه قراءة : (وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ)

ذكر النحاس أنها قراءة بعيدة ؛ لأن بعض الكلام معطوف علىٰ بعض والنسق واحد والتفسير يدل علىٰ (يقتلون) (٣) .

وذكر ابن خالويه أنه من المقاتلة ؛ لأن المشهور من أفعالهم المقاتلة لا القتل(٤).

واختارها الأزهري ؛ لأنهم كانوا يقاتلون الذين يخالفونهم في كفرهم ، والمقاتلة من اثنين، والقتل من واحد (٥) .

واحتج الفارسي لمن قرأ: (ويقاتلون الذين يأمرون) أنّ في حرف عبد الله فيما زعموا: (وقاتلوا الذين يأمرون بالقسط) فاعتبرها، وكأن معنىٰ يقاتلونهم : أنّهم لا يوالونهم ؛ ليقلّ نهيهم إياهم عن العدوان عليهم، فيكونون مباينين لهم،

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٤٣٠ ، ووافقه السمين الحلبي قال : (ولولا ذلك لكان التركيب (ويقتلون النبيين والذين يأمرون) . الدر المصون ٣/ ٩٤ .

(٢) الدر المصون ٣/ ٩٤ .

(٣) إعراب النحاس ١/ ٣٦٣ .

(٤) الحجة لابن خالويه ١٠٧.

(٥) معاني الأزهري ١/ ٢٤٦.

مشاقّين لهم ؛ لأمرهم بالقسط وإن لم يقتلوهم كما قتلوا الأنبياء، ولكن قاتلوهم قتال المباين المشاقّ لهم ، فإن قال قائل: إنّه في قراءته (ويقاتلون) لم يقرأ بحرف عبد الله، وترك قراءة الناس. قيل: ليس بتارك حرف عبد الله الذي هو (قاتلوا) في قراءته (يقاتلون) لأنّ قوله: (يقاتلون) يجوز أن يريد به (قاتلوا)، ألا ترىٰ أنّه قد جاء : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (١).

وقال في أخرىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (٢).فإذا جاء المعنىٰ لم يكن تاركا لقراءة عبد الله، وذلك أنّ قوله: (يصدون) يجوز أن يكون في المعنىٰ (صدّوا)، إلّا أنّه جاء علىٰ لفظ المضارع حكاية للحال، وكذلك حمزة في قراءته (يقاتلون) يجوز أن يكون مراده به (قاتلوا) إلّا أنّه جاء علىٰ لفظ المضارع حكاية للحال) (٣).

ومثله قوله تعالىٰ : (تُعَلِّمُونَ) و (تَعلَمُونَ)﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ (٤).

---

(١) الحج٢٥.

(٢) النحل صدر الآية ٨٨، محمد ١.

(٣) الحجة للفارسي ٣/ ٢٤ وحجة القراءات١٥٨.

(٤) آل عمران الآية ٧٩ قرأها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف (تُعلِّمون) بضم التاء وفتح العين وتشديد اللام المكسورة ، واختارها أبو عبيد ، ورجحها الطبري . يراجع معاني الفراء ١/ ٢٢٤ وجامع البيان ٦/ ٥٤٥ و السبعة ٢١٣ وإعراب النحاس ١/ ٣٩٠ وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٧ وحجة الفارسي ٣/ ٥٩ وحجة القراءات ١٦٧

نقاش

أجمع النحويون والمفسرون علىٰ أن من قرأها (تُعَلِّمُونَ) بضم التاء وتشديد اللام من (علَّم) ، أي : بتعليمكم الناسَ الكتابَ ودراستكم إياه.

وحجتهم أن مَنْ وصفهم بالتعليم، فقد وصفهم بالعلم، إذ لا يعلِّمون إلا بعد علمهم بما يعلِّمون. قالوا: ولا موصوف بأنه (يعلم) ، إلا وهو موصوف بأنه عالم .

قالوا: فأما الموصوف بأنه عالم ، فغير موصوف بأنه معلِّم غيره. (١).

وذهب ابن خالويه ومكي وابن عطية والرازي إلىٰ أن قراءة التشديد أبلغ وأمدح، لأنهم ما علموا حتىٰ علموا، فعلموا غيرهم، ودرسوا لأنفسهم. (٢).

أو لأن الربانيين لا يكتفون بالعلم حتىٰ يضموا إليه التعليم لله تعالىٰ ، ألا ترىٰ أنه تعالىٰ أمر محمدا ـ ﷺ ـ بذلك

والمبسوط ١٦٧ والكشف ١/ ٣٥١ والتيسير ٧٩ والعنوان ٨٠ والبحر٢/ ٥٣٠ والدر المصون ٣/ ٢٧٧ وبلا نسبة في معاني الزجاج ١/ ٤٣٥ وحجة ابن خالويه ١١٢ والكشاف ١/ ٥٧٥ والتبيان ١/ ٢٧٤ .

(١) معاني الفراء١/ ٢٢٤ وجامع البيان للطبري٦/ ٥٤٥ والكشف لمكي ١/ ٣٥١ البحر المحيط ٢/ ٥٣٠ والدر المصون ٣/ ٢٧٧.

(٢) حجة ابن خالويه ١١٢ والكشف ١/ ٣٥١ والمحرر الوجيز ١/ ٤٦٣ ويراجع مفاتيح الغيب ٨/ ٢٧٢.

فقال: ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ. (١). (٢).

وتعدىٰ بالتضعيف إلىٰ مفعولين أولهما محذوف (٣) ؛ إذ التقدير : تعلمون الناس أو الطالبين الكتاب ، أو غيركم الكتاب ؛ لأن المفعول به قد يحذف من الكلام كثيرا .

ومن قرأها (تَعَلَمُونَ) ، أي :(تعرفون) ، من (علم) بمعنىٰ (عرف) ، فيتعدىٰ لواحد، يعني: بعلمكم الكتابَ ودراستكم إياه وقراءتكم ، واحتجوا لاختيارهم هذه القراءة بأنه لو كان التشديد في اللام وضم التاء لكان الصواب في:(تُدرِّسون)، بضم التاء وتشديد الراء . (٤).

أو أنه خفف الأول لتخفيف الثاني ؛ فحمل الفعلين علىٰ معنىٰ واحد أليق ، وأحسن في المطابقة والمجانسة (٥).

أو بأن العلم هو العلة التي توجب للموفق من الناس أن يكون ربانيا، وليس التعليم شرطا في ذلك (٦).

---

(١) النحل الآية ١٢٥ .

(٢) يراجع مفاتيح الغيب ٨/ ٢٧٢.

(٣) هذا رأي المفسرين ، وذهب الفارسي و ابن عطية و الرازي إلىٰ حذف المفعول الثاني ، حجة الفارسي ٣/ ٦٠ والمحرر الوجيز ١/ ٤٦٣ ومفاتيح الغيب ٨/ ٢٧٢ .

(٤) جامع البيان ٦/ ٥٤٥ .

(٥) الكشف ١/ ٣٥١ .

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٤٦٣ .

اختيار القراءة

اختار أبو حاتم وابن عطية قراءة التخفيف ؛ لمناسبة (تدرسون) ، ولم يقل : (تدرِّسون) بالتشديد من التدريس.

واختار أبو عبيد والطبري ومكي قراءة التشديد لأن الله ﷻ وصف القوم بأنهم أهل عمادٍ للناس في دينهم ودنياهم، وأهل إصلاح لهم ولأمورهم وتربية ، ولأنها تجمع المعنيين" تعلمون، وتدرسون".(١).

وذهب أبو حيان والسمين الحلبي إلىٰ أن القراءتين متواترتان فلا ينبغي ترجيح إحداهما علىٰ الأخرىٰ (٢). وهو الأولىٰ . والله أعلم .

(١) تفسير القرطبي ٤/ ١٢٣ و جامع البيان ٦/ ٥٤٥ والكشف ١/ ٣٥١ ويراجع المحرر الوجيز ١/ ٤٦٣.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٥٣٠ والدر المصون ٣/ ٢٧٧ .

ض

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات ، أحمده ﷻ حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه علىٰ ما أتم عليَّ به من نعم ، حيث أعددت هذا البحث الذي أسفر عن نتائج كان من أهمها :ـ

١. رد الطبري والسمين الحلبي قول من وجه قراءة الياء في قوله تعالىٰ : (فناداه الملائكة) لأن الملائكة ذكور .

٢. ذهب الطبري وأبو عبيدة ومكي بن أبي طالب إلىٰ أن التبشير والبشر معناهما واحد ، وفرق ابن خالويه بينهما ، فذهب إلىٰ أن المثقل للبشرىٰ وتصحبه الباء ، والمخفف من النضارة . ولا تلحقه الباء .

٣. ذهب الخليل إلىٰ أن (حسِب يحسِب) بالكسر لغة في (حسِب يحسَب) بالفتح ، وذهب سيبويه إلىٰ أن (حسب يحسب) بالكسر من الأفعال التي شذت عن القياس ،والقياس الفتح ، ومن كسر في المضارع شبهه بـ (فعُل يفعُل) .

٤. ذهب سيبويه والفارسي إلىٰ أن (أنزل ونزَّل) بمعنىٰ واحد ، والتضعيف للتعدية لا غير ، وذهب مكي والزمخشري إلىٰ التضعيف يفيد التكرير ، واستدل الفارسي بنيابة مصدر أحد الفعلين عن الآخر ، كما في قوله تعالىٰ : (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا) (١) في قراءة ابن كثير بنونين وتخفيف الزاي ونصب الملائكة ، فجمع بين مضارع (أنزل و مصدر (نزّل) ، وذهب السمين الحلبي إلىٰ أنهما بمعنىٰ واحد أو أنه جمع بين اللغات .

---

(١) الفرقان من الآية ٢٥

٥. الحج بالفتح والكسر لغتان عن العرب ورد السماع بهما .

٦. الضير والضر معناهما واحد ، وكلاهما ضد النفع ، وورد السماع بهما في القرآن الكريم ، كقوله تعالىٰ : (فإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما) ، وقوله تعالىٰ : (قالو لا ضير إنا إلىٰ ربنا منقلبون) .

٧. الرعب بسكون العين وضمها لغتان ، الأصل فيهما الضم والسكون للتخفيف ، كالرُسُل والرسْل والعضُد والعضْد .

٨. (مُتم) بضم الميم الأولىٰ هو الأصل ، كـ (قلتم ، وطفتم) ، ومن كسر أجراها مجرىٰ (خفتم) ، وهو شاذ في القياس ، والأولىٰ حمله علىٰ أنه لغة .

٩. (حزن وأحزن) لغتان في (حزن) ، والأولىٰ لقريش والثانية لبني تميم .

١٠. لم يفرق سيبويه بين (حزن وحزَّن) المخفف والمثقل ، وفرق بين (حزن وأحزن) ، فجعل (أحزن) بمعنىٰ جعلت فيه حزنا ، وذهب الفراء إلىٰ أنهما بمعنىٰ واحد ، وذهب القرطبي والعكبري إلىٰ أن (أحزن) لغة قليلة .

١١. (ماز وميَّز وأماز) بمعنىٰ واحد ؛ لتعديها جميعا إلىٰ مفعول واحد ، إلا أن المثقل فيه معنىٰ التكثير .

١٢. رد أبو حيان والسمين الحلبي قول الطبري : (ونعلمه الكتاب) معطوف علىٰ (نوحيه إليك) ؛ لفساد اللفظ والمعنىٰ .

١٣. قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي قوله تعالىٰ : (ويعلمه الكتاب ...) ٤٨ وقوله تعالىٰ : (فيوفيهم أجورهم) ٥٧ بالنون علىٰ التعظيم ، وقرأهما عاصم بالياء مراعاة لما قبلهما .

١٤. قرأ الجمهور قوله تعالىٰ : (لما آتيتكم) بتاء الخطاب والإفراد ، وقرأها أبو جعفر ونافع بالنون علىٰ التعظيم ، وجعل أبو حيان والسمين الحلبي ذلك كله علىٰ الالتفات .

١٥. أبو جعفر النحاس والأزهري يريان اتحاد المعنىٰ علىٰ قراءة (فيوفيهم أجورهم) بالياء والنون .

١٦. قراءة التاء في قوله تعالىٰ : (أفغير دين الله يبغون .....وإليه يرجعون) علىٰ خطاب النبي ـ ﷺ ـ لإخبار الكفار والمشركين برجوعهم إلىٰ الله والحكم بينهم ، وذهب الفارسي إلىٰ اتحاد المخاطب علىٰ قراءة الياء والتاء ، وهو النبي ـ ﷺ .

١٧. قراءة (لَيُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ) بالياء والتاء فيهما علىٰ أن المراد بهما أهل الكتاب ، والقراءتان متساويتان عند الطبري ومكي ، إلا أن قراءة الياء أولىٰ عند الطبري ، وقراءة التاء أولىٰ عند مكي .

١٨. اختلاف المفسرين في المخاطب علىٰ قراءة التاء في قوله تعالىٰ : (قد كان لكم آية في فئتين التقتا..... ترونهم مثليهم رأي العين) أهم اليهود أو المشركين ؟ علىٰ قراءة الياء والتاء ، فعلىٰ قراءة الياء الرؤية للمسلمين يرون المشركين مثليهم ، وذهب الفراء إلىٰ أن معنىٰ (مثليهم) ثلاثة امثال ، ورده الزجاج والراغب الأصفهاني بقوله تعالىٰ : (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا) ، وذهب ابن عطية إلىٰ أن المخاطب بهذه الآية قد يكون المسلمين أو الكفار أو اليهود .والآية لتخويف اليهود أن يحل عليهم مثل ما أحل بالمشركين

، وعلىٰ قراءة التاء الرائي يهود المدينة والمرئي المسلمين والمشركين ، وذهب ابن خالويه إلىٰ أن الرائي الكفار والمرئي المسلمين ، والفارسي ذهب إلىٰ أن الخطاب علىٰ قراءة التاء للمسلمين والمرئي المشركين ، واتفق الجميع علىٰ أن الرؤية حقيقية ، بدليل قوله تعالىٰ : (رأي العين) ، إلا الفخر الرازي الذي ذهب إلىٰ أنها بمعنىٰ الظن والحسبان ، معللا رأيه بأن من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل أنه في غاية الكثرة .

١٩. ذهب الفراء إلىٰ أن قراءة (أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ) بالتاء مردودة علىٰ (أمنة) مراعاة للفظ ، وذهب الزجاج والطبري إلىٰ أن (الأمنة) تؤدي معنىٰ النعاس ؛ لذلك يجوز (يغشىٰ وتغشىٰ) .

٢٠. اتفق الجميع علىٰ جواز التذكير والتأنيث في (تغشىٰ) ، فمن ذكر فلمراعاة لفظ (نعاس) ، ومن أنث فلمراعاة لفظ الأمنة .

٢١. من قرأ : (وما كان لنبي أن يَغُلَّ) بالبناء للفاعل أخذه من (غلَّ) (يغل) ، ومعناه : لا يصح أن يقع من النبي غلول ؛ لتنافيه مع النبوة ، ومن قرأها (يُغَلَّ) بالبناء لما لم يسم فاعله فمعناه : النهي لأصحاب النبي ـ ﷺ ـ أن يخونوه في المغانم .

٢٢. اختار الطبري والفارسي قراءة (قَرح) بالفتح لقراءة ابن كثير بها ؛ ولأنها لغة الحجاز والقرآن نزل بها .

٢٣. اختار أبو عبيد والأخفش قراءة (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) ؛ لأنها أعم في المدح ، ولأنها يدخل فيها من قتل ومن بقي ، ، واختار أبو حاتم

والطبري قراءة من قرأ : (قتل) بالبناء لما لم يسم فاعله ، لأنها عتاب من الله للمؤمنين يوم أحد وقت تخاذلهم فضرب لهم مثلا بمن قبلهم .

٢٤. رجح الفارسي قراءة التاء في قوله تعالىٰ : (ستغلبون وتحشرون) ؛ لأن سياق الآية علىٰ الخطاب ، كما أن للتاء علىٰ الياء مزية ، وهو جواز أن يكون المغلوبون و المحشورون من غير المخاطبين .

٢٥. فرق أبو حيان بين قراءة الياء والتاء ، فقراءة التاء عنده علىٰ الإخبار بالمعنىٰ ، وعلىٰ قراءة الياء إخبار باللفظ .

٢٦. وجه المفسرون قراءة الياء في قوله تعالىٰ : (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) علىٰ أنها مردودة علىٰ ما قبلها ، وهو (أمة قائمة) ، ومن قرأها بالتاء ردها علىٰ قوله تعالىٰ : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ، ووجهها الزجاج ومكي علىٰ أنها خطاب لأمة النبي ـ ﷺ ـ وسائر الخلق داخل معهم في ذلك ، وجعلها ابن عطية علىٰ خطاب أهل الكتاب ، كما أجاز أبو حيان والسمين الحلبي أن يكون التفاتا من الغيبة إلىٰ الخطاب .

٢٧. اختار مكي قراءة من قرأ : (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) لرد أول الكلام علىٰ آخره في الإخبار بالقتل عن الذين يكفرون بآيات الله ، ووجهها أبو حيان علىٰ أنه كرر الفعل للعطف ، وإبراز كل جملة في صورة التشنيع والتفظيع ؛لاختلاف ترتب العذاب بالنسبة علىٰ من وقع به الفعل ،وجعل النحاس قراءة من قرأ (ويقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس)

بعيدة ؛ لأن بعض الكلام معطوف علىٰ بعض والنسق واحد والتفسير يدل علىٰ (يقاتلون) .

٢٨. اختار ابن خالويه والأزهري قراءة (ويقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) لأنه من المقاتلة ، والمشهور من فعلهم المقاتلة لا القتل ؛ لأنهم كانوا يقاتلون الذين يخالفونهم ، كما أن المقاتلة من اثنين والقتل من واحد .

٢٩. ذهب ابن خالويه ومكي وابن عطية والرازي إلىٰ أن قراءة (بما كنتم تعلمون الكتاب) بتشديد (تعلمون) أبلغ وأمدح ؛ لأنهم ما علموا حتىٰ علموا ، فعلموا غيرهم ودرسوا لأنفسهم ، أو لأن الربانيين لا يكتفون بالعلم حتىٰ يضموا إليه التعليم لله تعالىٰ ، أما من قرأها بالتخفيف فذهب إلىٰ أنه من العلم الذي هو المعرفة ، واحتج من قرأ بها أنه لو كان علىٰ التشديد لشدد (تدرسون ، أو أنه خفف الأول لتخفيف الثاني ؛ ليحمل الفعلان علىٰ معنىٰ واحد) .

والله من وراء القصد

فهرس المصادر والمراجع

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطيّ تح / د/ شعبان محمد إسماعيل ـ عالم الكتب بيروت ومكتبة الكليات الأزهرية ـ ط الأولىٰ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢. التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح لابن بري تح / مصطفىٰ حجازي وعلي النجدي ناصف ـ ط الأولىٰ ١٩٨٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣. أدب الكاتب لابن قتيبة تح / محمد الدالي مؤسسة الرسالة .

٤. ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان تح د/ محمد رجب عثمان مكتبة الخانجي القاهرة .

٥. أسباب نزول القرآن للنيسابوري تح / عصام بن عبد المحسن الحميدان ،دار الإصلاح – الدمام ـ ط الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

٦. إصلاح المنطق لابن السكيت تح / محمد مرعب دار إحياء التراث العربي ـ ط الأولىٰ ١٤٢٣ هـ٢٠٠٢ م .

٧. الأصمعيات اختيار الأصمعي تح / احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون دار المعارف – مصر ، ط السابعة، ١٩٩٣م .

٨. إعراب القراءات السبع لابن خالويه تح / عبد الرحمن العثيمين مكتبة الخانجي القاهرة ـ ط الأولىٰ ،١٤١٣/ ١٩٩٢ .

٩. إعراب القراءات الشواذ للعكبري تح / محمد السيد عزوز عالم الكتب بيروت ـ ط الأولىٰ ١٤١٧هـ ١٩٩٦ م .

١٠. إعراب القرآن للنحاس تح / د / زهير غازي عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ـ ط الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

١١. الأمالي لأبي علي القالي عني بترتيبه / محمد عبد الجواد الأصمعي دار الكتب المصرية ـ ط الثانية، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م .

١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي تح / محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط الأولىٰ ١٤١٨ هـ .

١٣. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تح عادل عبد الموجود وعلىٰ معوض ،دار الكتب العلمية بيروت .

١٤. البرهان في علوم القرآن للزركشي تح أبي الفضل الدمياطي ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م دار الحديث القاهرة .

١٥. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تح / إبراهيم شمس الدين ط الثانية دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٧م .

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضىٰ الزَّبيدي تح : مجموعة من المحققين دار الهداية .

١٧. تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري تح عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت ط الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

١٨. التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري تح / علي محمد البجاوي عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه .

١٩. التذييل والتكميل لأبي حيان الأندلسي تح / د/ حسن هنداوي دار القلم دمشق ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

٢٠. التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري دار الكتب العلمية -بيروت - ط الأولىٰ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٢١. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري تح / محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط الأولىٰ، ٢٠٠١م .

٢٢. التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني تح / أوتو تريزل ـ دار الكتاب العربي – بيروت ـ ط الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري تح / أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ـ ط الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م .

٢٤. جامع الترمذي للإما م الترمذي ـ تح / أحمد محمد شاكر وآخرين ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ ط الأولىٰ .

٢٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تح / أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة ـ ط الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

٢٦. جمهرة اللغة لابن دريد تح / رمزي منير بلبكي دار العلم للملايين بيروت ط الأولىٰ ١٩٨٧ م .

٢٧. الحجة في القراءات السبع لابن خالويه تح د/ عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ـ ط الثالثة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٢٨. الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي تح / بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي دار المأمون للتراث – دمشق بيروت ـ ط الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م .

٢٩. حجة القراءات لأبي زرعة ابن زنجلة تح / سعيد الأفغاني دار الرسالة .

٣٠. الحماسة للبحتري تح / د. محمَّد إبراهيم حُوَّر و أحمد محمد عبيد هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ـ أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

٣١. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي تح / عبد السلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة .

٣٢. الخصائص لابن جني تح /: محمد علىٰ النجار وآخرين المكتبة العلمية .

٣٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تح د/ أحمد محمدالخراط ـ دار القلم، دمشق .

٣٤. الدرر اللوامع علىٰ همع الهوامع شرح جمع الجوامع لأحمد بن الأمين الشنقيطي تح / محمد باسل عيون السود المكتبة العلمية بيروت ط الأولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩ م .

٣٥. ديوان امرئ القيس تح / عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة ـ بيروت ـ ط الثانية ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م .

٣٦. ديوان حسان بن ثابت تح / د وليد عرفات بيروت ١٩٧١م .

٣٧. ديوان الفرزدق تح / علي فاعور دار الكتب العلمية بيروت ـ ط الأولىٰ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٣٨. ديوان كعب بن مالك الأنصاري تح / د سامي مكي العاني مكتبة النهضة بغداد ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .

٣٩. ديوان النمر بن تولب العكلي تح د/ محمد نبيل طريفي دار صادر بيروت ط الأولىٰ ٢٠٠٠م .

٤٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي تح / علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥ هـ .

٤١. السبعة في القراءات لابن مجاهد تحقيق د / شوقي ضيف دار المعارف مصر

٤٢. سر صناعة الإعراب لابن جني تح / د حسن هنداوي دار القلم دمشق ط الثانية ١٤١٣هـ ١٩٨٣ م .

٤٣. سّمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري صححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني دار الكتب العلمية، بيروت .

٤٤. سنن أبي داوود لأبي داوود السجستاني تح / محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر ـ سوريا ـ ط الأولىٰ .

٤٥. سنن ابن ماجة لابن ماجة القزويني تح / محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأولىٰ .

٤٦. شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك المسمىٰ منهج السالك إلىٰ ألفية ابن مالك تح / محمد محي الدين عبد الحميد دار الكتاب العربي بيروت ط الأولىٰ ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥م .

٤٧. شرح التسهيل لابن مالك تح د/ عبد الرحمن السيد ود/ محمد بدوي المختون دار هجر .

٤٨. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تح / غريد الشيخ و إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت ـ ط الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٤٩. شرح ديوان الأخطل تصنيف إيليا سليم الحاوي دار الثقافة بيروت ط الثانية ١٩٧٩م .

٥٠. شرح شواهد المغني للسيوطي تح / أحمد ظافر كوجان لجنة التراث العربي

٥١. شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي تح / أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي دار الكتب العلمية، بيروت ـ ط الأولىٰ، ٢٠٠٨ م .

٥٢. شرح المفصل لابن يعيش عالم الكتب بيروت ومكتبة المتنبي .

٥٣. شعر عمرو بن الأهتم مطبوع مع شعر الزبرقان بن بدر تح / سعود محمود عبد الجابر مؤسسة الرسالة بيروت ط الأولىٰ ١٩٨٤م .

٥٤. صحيح الإمام مسلم النيسابوري تح / محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت ـ ط الأولىٰ .

٥٥. العنوان في القراءات السبع لابن خلف الأنصاري تح د / زهير زاهد و د / خليل العطية كلية الآداب – جامعة البصرة ، عالم الكتب، بيروت١٤٠٥هـ .

٥٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري تح / زكريا عميرات ـ دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولىٰ ١٤١٦هـ .

٥٧. غريب القرآن المسمىٰ بنزهة القلوب لأبي بكر السجستاني تح / محمد أديب عبد الواحد جمران دار قتيبة ـ سوريا ط الأولىٰ ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .

٥٨. الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي تح / أحمد فريد المزيدي ، د. فتحي حجازي مكتبة نزار مصطفىٰ الباز – المملكة العربية السعودية ط الأولىٰ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

٥٩. فتح القدير للشوكاني دار ابن كثير و دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ط الأولىٰ – ١٤١٤ هـ .

٦٠. الكامل في اللغة والأدب للمبرد تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الفكر العربي – القاهرة ـ ط الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٦١. كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تح / د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال .

٦٢. كتاب فيه لغات القرآن للفراء ضبطه وصححه: جابر عبد الله السريع١٤٣٥هـ الكتاب غير مطبوع وموجود علىٰ الشبكة العنكبوتية .

٦٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل عن وجوه التأويل للزمخشري تح عادل عبد الموجود وعلىٰ معوض ، ط الأولىٰ ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م مكتبة العبيكان .

٦٤. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب تح د / محي الدين رمضان مؤسسة الرسالة ط الثالثة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٦٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تح/ أبي محمد بن عاشور مراجعة الأستاذ نظير الساعد دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ط الأولىٰ ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢م .

٦٦. اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص النعماني تح / الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ط الأولىٰ ، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م .

٦٧. لسان العرب لابن منظور .

٦٨. اللغات في القرآن لابن حسنون السامري تح / صلاح الدين المنجد مطبعة الرسالة، القاهرة ط الأولىٰ، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

٦٩. ليس في كلام العرب لابن خالويه تح / أحمد عبد الغفور عطار ـ ط الثانية، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٧٠. المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر النيسابوري تح / سبيع حمزة حاكيمي مجمع اللغة العربية – دمشق١٩٨١ م .

٧١. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ تح /محمد فواد سزكين مكتبة الخانجىٰ – القاهرة١٣٨١ هـ .

٧٢. مجالس ثعلب تح / عبد السلام هارون دار المعرف مصر ـ ط الثانية .

٧٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تح / عبدالسلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط الأولىٰ ١٤٢٢ هـ .

٧٤. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني تح / علىٰ النجدي ناصف وآخرين ـ ط الأولىٰ ـ وزارة الأوقاف–المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية القاهرة ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م .

٧٥. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده تح / عبد الحميد هنداوي ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

٧٦. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ـ مكتبة المتنبي القاهرة .

٧٧. المخصص لابن سيده تح / خليل إبراهم جفال دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الأولىٰ، ١٤١٧هـ١٩٩٦م .

٧٨. معاني القراءات للأزهري تح / د / عيد مصطفىٰ درويش و عوض بن حمد القوزي ـ ط الأولىٰ ١٤١٢ هـ ١٩٩١م .

٧٩. معاني القرآن للفراء عالم الكتب ـ ط الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م .

٨٠. معاني القرآن للأخفش تح د / هدىٰ محمود قراعة مكتبة الخانجي، القاهرة ط الأولىٰ، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .

٨١. معاني القرآن وإعرابه للزجاج تح/ عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب – بيروت ـ ط الأولىٰ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٨٢. معاني القرآن للنحاس تح / محمد علي الصابوني ـ ط الأولىٰ جامعة أم القرىٰ .

٨٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري تح د/ عبد اللطيف الخطيب ط الأولىٰ الكويت ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م .

٨٤. مفاتيح الغيب للفخر الرازي دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٨٥. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانىٰ تح / صفوان عدنان الداودي ـ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ط الأولىٰ – ١٤١٢ هـ .

٨٦. المفضليات للمفضل الضبي تح أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون دار المعارف – القاهرة ط السادسة .

٨٧. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ شرح الشواهد الكبرىٰ لبدر الدين العيني تح / أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر دار السلام للطباعة والنشر القاهرة ـ ط الأولىٰ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .

٨٨. المقتضب للمبرد تح د/ محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

٨٩. المقرب لابن عصفور تح / أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ـ ط الأولىٰ ١٣٩٢ هـ١٩٧٢م .

٩٠. المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني ـ دار إحياء التراث القديم ـ ط الأولىٰ ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

٩١. النشر في القراءات العشر لابن الجزري تح / علي محمد الضباع المطبعة التجارية الكبرىٰ تصوير دار الكتاب العلمية .

٩٢. النوادر أبي زيد الأنصاري تح / محمد عبد القادر أحمد دار الشروق ـ ط الأولىٰ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

٩٣. همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي تح د/ عبدالعال سالم مكرم دار البحوث العلمية الكويت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .